مزار النتاج الفكري لأمير المؤمنين عليه السلام

تفسيره المغيب للقرآن الكريم وادعيته العلوية

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية
٢٨٧١ لسنة ٢٠١٧

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda .
رقم تصنيف LC: BP39.5 .M5 B3 2017.
المؤلف الشخصي: بشير، خليل خلف.
العنوان: من النتاج الفكري لأمير المؤمنين (عليه السلام) تفسيره المغيب للقرآن الكريم وأدعيته العلوية/
بيانات المسؤولية: تأليف الأستاذ المساعد الدكتور خليل خلف بشير، تقديم السيد نبيل الحسني الكربلائي.
بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.
بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم نهج البلاغة.
١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.
الوصف المادي: ١٦٨ صفحة.
سلسلة النشر: سلسلة الكتب العلمية (١١)؛ مؤسسة علوم نهج البلاغة.
تبصرة ببيلوغرافية: الكتاب يتضمن هوامش - لائحة المصادر (الصفحات ١٥٣ - ١٦٦)
تبصرة محتويات:
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا -.
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - نظريته حول التفسير.
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ هجريا - نظريته حول الدعاء.
موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجريا - نهج البلاغة .
مصطلح موضوعي: الدعاء في نهج البلاغة.
مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، ٣٥٩ - ٤٠٦ هجريا - نهج البلاغة.
مؤلف إضافي: الحسني، نبيل قدوري، ١٩٦٥، مقدم.
عنوان إضافي: نهج البلاغة - شرح.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة الدراسات والبحوث

وحدة المعارف الحكمية

-١١-

من النتاج الفكري لأمير المؤمنين عليه السلام

تفسيره المغيب للقرآن الكريم وادعيته العلوية

تأليف

د. خليل خلف بشير

إصدار

موسسة علوم نهج البلاغة

في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة

- مجاور مقام علي الاكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الالكتروني : www.inahj.org

الايميل: Inahj.org@gmail.com

تنويه:

إن الأفكار والآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالظرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

الإهداء

قال شاعر :

لا عذّب الله أُمي إنّهـــا شربتْ ... حـــــبَّ الوصيِّ وغذّتنيـــه باللبـنِ
وكان لي والدٌ يهوى أبـــا حسنٍ ... فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

إليـك يـا وليـد الكعبـة وشـهيد المحراب،ويـا مثـال العـدل وبطـل الحِراب،ويـا معـدن الحكمـة وفصـل الخطاب،ويـا أيهـا العبقـري الفـذ والإنسـان العُجاب،ويـا مـن عنـده -دون سـواه- علـم الكتـاب .

إليـك يـا عـلي المرتـضى، وابـن عـم المصطفـى، وزوج البضعـة الزهـراء، وأبـا الحسـن المجـتبى والحسـين سـيد الشـهداء .

أهـدي هـذه البضاعـة المزجـاة مـع رجائـي مـن الله ومنـك الشـفاعة والقبـول.

المؤلف

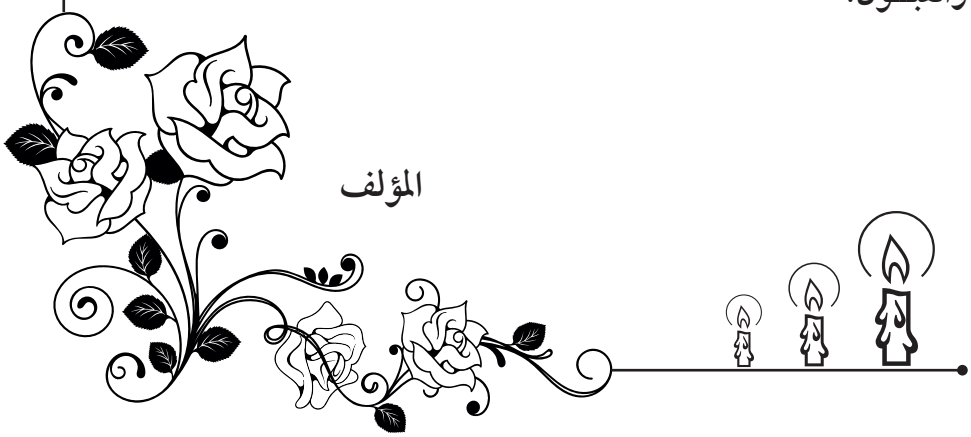

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد: فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس والتبيين ولم يتقصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[1]، كذا يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[2]، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم والعترة النبوية.

---

١ الأنعام: ٣٨.

٢ يس: ١٢.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسة الكتب العلمية) والتي يتم عبرها طباعة هذه الكتب واصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين واعانتهم على تبيين هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

ولذا: كان البحث الموسوم بـ(من النتاج الفكري لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيره المغيب للقرآن الكريم وأدعيته العلوية) واحداً من العناوين المهمة التي تناول فيها الباحث نتاجين فكريين من نتاجات أمير المؤمنين (عليه السلام) التي لا تنضب ألا وهي تفسيره للقرآن الكريم المغيب، وأدعيته المباركة، فقد تجلت قدرته (عليه السلام) في تبيان وتفسير القرآن فهو الذي قال فيه عز وجل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

فجزى الله الباحث خير جزاء المحسنين فقد بذل جهده وعلى الله أجره..

والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل قدوري الحسني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى إله الطيبين الطاهرين،وصحبه المنتجبين، وبعد : فإن البحث في نتاج فكري لعظيم من عظماء الإنسانية مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) شاق ومضن ولاسيما وأن حياة أمير المؤمنين ملأى بالنتاجات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية، وغيرها، وفي هذا الكتاب ارتأيت أن أسلط الضوء على نتاجين فكريين من نتاجاته هما : تفسيره المغيب، وأدعيته المباركة،وقد جعلتُ كل نتاج في فصل مقسّماً كل فصل على فقرات فقد سمّيتُ الفصل الأول: تفسير الإمام علي (عليه السلام) المغيب للقرآن الكريم،وشمل مدخلاً تحدثتُ فيه عن شخصية أمير المؤمنين الفكرية ثمّ أعقبته بموضوعات هي: القرآن في رؤية أمير المؤمنين، والتفسير والتأويل،واحتجاجاته القرآنية، والتفسير المغيّب الذي شمل عنوانين فرعيين هما: تفسير الإمام علي (عليه السلام) وأهميته ومنهجه في التفسير على نماذج مختارة من تفسيره المغيّب في سور: (الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف،والتوبة، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد،)، والتفسير في نهج البلاغة،وعلي (عليه السلام) والقرآن.

أما الفصل الثاني فقد سمّيته : الدعاء عند أمير المؤمنين - أدعية نهج البلاغة أنموذجاً،وقد بدأته بمدخل عنوانه (الدعاء ونهج البلاغة) ثمّ تلوته بموضوعات

هي : عناصر الدعاء في نهج البلاغة، وبلاغة الدعاء في نهج البلاغة،وأغراض الدعاء في نهج البلاغة،وصور بلاغية في أدعية نهج البلاغة، خاتماً إياه بالاقتباس القرآني في أدعية أمير المؤمنين.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات الأكاديمية حول شخصية الإمام علي (عليه السلام) إلا إنّ الدراسات التي عكفت على دراسة تفسيره كانت قليلة نوعاً ما، وأذكر هنا دراستين هما :

١- الإمام علي بن أبي طالب مفسّراً للقرآن - الدكتور أحمد راسم النفيس الذي اقتصر على رؤى الإمام التفسيرية في نهج البلاغة،ولم يتطرق إلى آرائه التفسيرية في المصادر الأخرى.

٢- تفسير القرآن الكريم برواية الإمام علي - السيد علي عاشور الذي خلط الغث بالسمين،والعاطل بالثمين فقد ذكر آراء تفسيرية كثيرة منسوبة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)،وأسباب نزول الآيات،وفضل السور القرآنية، وقد أجاد في تخريج الأحاديث الشريفة.

لذا رأيت من واجبي أن أتصدى لهذه الدراسة من أجل إغنائها،وإنصاف جهد الإمام المشتت في المصادر لينتفع منه الدارسون في مجال الفكر والتفسير﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود / الآية٨٨ .

الباحث

الفصل الأول

تفسير الإمام علي (عليه السلام) المغيّب للقرآن الكريم

المدخل : شخصية أمير المؤمنين الفكرية

لقد لفت الإمام علي (عليه السلام) انتباه الفكر الإنساني عامةً بشخصيته الفذة النادرة الملهمة فكان موسوعة فكرية عامة تألقت في مختلف ميادين الفكر والمعرفة لذا تراه مؤسساً لكثير من العلوم بمختلف تقسيماتها،ولا غرابة في ذلك فقد استقى علمه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقد تربى في حجره منذُ الصغر، وفتح ((عينيه على الطريق التي رسمها ابن عمه،وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته، ونَعِمَ بعطفه وحنانه وإخائه... وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه، ونطق لسانه أول ما نطق بما لقّنه إياه من رائع القول، واكتملت رجولته أول ما اكتملت لمؤازرة النبي المضطهد))[1] وارتشف منه التقى والهدى والإيمان والعلم والمعرفة والحكمة فكان له أباً وأخاً وصديقاً وأستاذاً كما يشير إلى ذلك في قوله ((أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ (صلى الله عليه وآله) مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ

---

١ - الإمام علي صوت العدالة الإنسانية / جورج جرداق ٦٨.

الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلى الله عليه وآله) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ (صلى الله عليه وآله) لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) وَمَا تَسْأَلُونَ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله) إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللهَ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وآله) : يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهَّ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهَّ فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) مُرْفِرِفَةً وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ (صلى الله عليه وآله) فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) فَقَالُوا كُفْراً وَعُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ (صلى الله عليه وآله) فَرَجَعَ فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ

إِلَّا الله إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهَّ وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهَّ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهَّ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ اللهَّ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ))[1].

وتكشف هذه الرواية عن شدة العلاقة ومدى الرابطة الحميمة بين علي (عليه السلام)، والنبي (صلى الله عليه وآله) والموقع والمكانة التي يشغلها من اهتمامه بتلقيه علوم الوحي وتفسير كتاب الله،وأنه كان يلقي عليه من أخلاقه وعلومه وتجاربه، وبالمقابل كان علي يتلقى كل ما يفيض عليه معلمه ومربيه من صنوف المعرفة،وهذا يدل على أنه تلقى عن معلمه الأوحد كل ما علّمه إياه[2]، ومن ذلك علوم القرآن من التأويل والتفسير،والناسخ والمنسوخ،والمحكم والمتشابه، والخاص والعام وغير ذلك كما يتضح من الرواية الآتية ((وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نسائه . فلا يبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها

١- نهج البلاغة / أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الخطبة ١٩٢، ص ٣٤٨-٣٥٠.

٢- ينظر : مدارس التفسير الإسلامي / علي أكبر بابائي ١/ ٧١.

ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شئ لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال : لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل))[1].

ويعد أمير المؤمنين (عليه السلام) سبّاقاً في كثير من العلوم كالنحو، وعلوم القرآن - ومنه التفسير -، والفيزياء،والكيمياء،والرياضيات،وأسرار الكون، وغيرها فقد فهم الدارسون من مقولة الإمام (الإنسان يشارك السبع الشداد)[2] أنّ الإنسان سيتمكن من ارتقاء السماء،والتعرف على أسرار القمر والمريخ والزهرة وزحل والكواكب الأخرى فيكون الإمام قد سبق العلماء في ما توصلوا إليه حديثاً،وكذا في قوله (في التجارب علم مستفاد)[3]،وقوله (ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة)[4] فقد سبق الإمام بيكون في اكتشاف الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية لقد كان علي (عليه السلام) رجل علم قبل أن يكون رجل دين، وقد أحبّ العلم،

١- الكافي / الكليني ١/ ٦٤.

٢- وردت هذه المقولة في شرح رسالة الحقوق / حسن السيد علي القبانچي ٨٤ مقرونة بمقولة غيره (الإنسان مركز الكون).

٣- المقولة لأمير المؤمنين وردت في ميزان الحكمة / محمد الريشهري ١/ ٣٧٦، وهناك مقولة أخرى له أوردها في الموضع نفسه هي (الأمور بالتجربة، والأعمال بالخبرة).

٤- من وصاياه لكميل بن زياد ينظر : تحف العقول / ابن شعبة الحراني ١٧١.

فكان وعاءً لعلوم شتى،ولو بثّ علومه كلها لتحولت الدنيا إلى غيرها،وتغير وجه الحياة،وازدهرت بالبركات والخيرات،وتحولت الأرض إلى بساط أخضر وربيع مقرّ ولكان لإسلام دين الأرض وسيّد الدنيا،وارتقت البشرية إلى مرحلة فكرية فلا ظلم ولا تخلف ولا فساد ولأكلنا من ثمرات الأرض،ولو جمعنا ما روي عنه لأدركنا أنه رجل علم ومدرسة علمية لكنه عاش في مجتمع لم يعرف للعلم ثمناً،ولا للعلماء وزناً [1] فهو القائل : ((بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ))[2]، فهذا العلم الجم الذي لم يجد من يعينه، والعلم المكنون الذي إباحته تقتضي اضطراب سامعيه، ليس علما قد اكتسبه بقراءة ودراسة ومباحثة وتكرار، بل هو علم لدني قذف الله تعالى نوره في قلبه من مشكاة تقواه، وألهمه إياه لما تحلى زهده في متاع دنياه [3]،فهو القائل : ((عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب والأسباب وفصل الخطاب ومولد الإسلام موارد الكفر وأنا صاحب الميسم وأنا الفاروق الأكبر ...)) [4]،وكذا القائل : ((والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله))[5] فلم يستفيدوا من علمه فهو حينما كان يقول (سلوني قبل أن تفقدوني) فكان سعد بن أبي وقاص يسأله : كم شعرة في رأسي ولحيتي؟ استهزاءً بما طرحه الإمام فيجيبه الإمام عن مغيّب : (إنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله)

١- ينظر: الإمام علي القرآن الناطق/ نعمة هادي الساعدي ٢٤٧.

٢- نهج البلاغة،الخطبة ٥،ص٣٢. واندمجت : انطويت . والطوى : البئر المطوية بالحجارة (ينظر : شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١/ ٢١٣. والأرشية الحبال، وأحدها رشاء (ينظر : كشف الغمة / ابن أبي الفتح الأربلي ١/ ٧٥).

٣- ينظر : مطالب السؤول في مناقب آل الرسول / محمد بن طلحة الشافعي ٨٢.

٤- بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار ٢٢٢.

٥- نهج البلاغة،الخطبة ١٧٥،ص ٢٨٩.

إشارة إلى أن له صبياً سيكبر ويقتل الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وهو عمر بن سعد[1].

لذا يصح القول : إنه من العلماء المظلومين في الحياة؛ لأنه لم يُسمع له،ولم يؤخذ منه كما أراد ورغب؛ ولأنه العالم وليس كالعلماء[2] فهو القادر على القضاء والحكم لأهل التوراة بتوراتهم،ولأهل الإنجيل بإنجيلهم،ولأهل القرآن بقرآنهم لقوله : ((... أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى ينطق كل كتاب من كتب الله فيقول : « صدق علي لقد أفتاكم بما أنزل الله في » وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهارا فهل فيكم أحد يعلم : ما أنزل الله فيه، ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم : بما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[3]. ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرئ النسمة، لو سألتموني عن : أية آية في ليل نزلت أم في نهار نزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأنبأتكم ...))[4].

فلو ثنيت الوسادة لأمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وتسلم قيادة الحكم لتطورت الحياة الإسلامية،وسادت القيم الأصيلة والمثل

١- ينظر : بحار الأنوار/ المجلسي ٤٠/ ١٩٢،والإمام علي بن أبي طالب هو الإمام حقاً/ مهدي الشيخ صالح الأسدي ٤٦٠-٤٦١.

٢- ينظر : الإمام علي القرآن الناطق/ نعمة هادي الساعدي ٢٤٧.

٣- الآية ٣٩ من سورة الرعد.

٤- الاحتجاج / الطبرسي ١/ ٣٨٥.

العليا فقد كان الإمام يملك طاقات هائلة من العلم لا يملكها غيره فثرواته العلمية شملت جميع ما يقع في الدنيا من أحداث في ما هو كائن وما يكون حتى يرث الأرض ومن عليها لكن من المؤسف أنّ الأمة لم تستغل هذا الجهبذ العظيم،ولم تحتضنه ليفيض عليها بعلومه ومعارفه وثقافته فقد باعدوا بينه وبين الحياة السياسية العامة في البلاد محتجين بحجة تنمُّ عن حقدهم الدفين وهي أن الخلافة والنبوة لا تجتمع في بيت واحد[1] متناسين أنه الوحيد من بين الصحابة الذي لم يُسأل عن مسألة إلا وأجاب عنها،بل هو الوحيد الذي لم يحتج أن يسأل أحداً عن مسألة،وهو المرجع الذي يرجع إليه الصحابة في جميع أمورهم [2] فقد سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العربية المعروف،وصاحب أول معجم عربي هو العين،ومخترع علم العروض عن الدليل على إمامة علي (عليه السلام)، على نحو الكل في الكل، قال: احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل[3].

لقد رأى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن علمه ليس له فهو ليس مثل بقية الذين يحملون العلم من أجل أن يجمدوه في ذواتهم أو ليحصلوا على امتيازات خاصة فقد كان يشعر أن علمه ليس ملكاً له؛ لأنه ملك الله،والله يريد منه أن ينفقه على خلقه لذا كان يطلب من الناس،وهو مسجى على فراش الموت أن يسألوه فلا يترك فرصة يشعر فيها أن الناس بحاجة إليه إلا وبادر إليها من أجل إزالة شبهة عنهم أو فتح باب لهم للحق أو تخطيط لهم على طريق الهدى أو إنقاذهم من طريق الضلال[4].

١- موسوعة الإمام أمير المؤمنين / باقر شريف القرشي ٣/ ٨-٩.

٢- ينظر : في رحاب أهل البيت / السيد محمد حسين فضل الله ١/ ١٦١.

٣- ينظر : معجم رجال الحديث / السيد الخوئي ٨/ ٨١.

٤- ينظر : في رحاب أهل البيت ١/ ١٦٢.

وقد شهد بفضله القاصي والداني ويكفينا شهادة الدكتور محمد حسين الذهبي الذي قال عنه إنه ((كان رضي الله عنه بحرا في العلم، وكان قوى الحجة سليم الاستنباط، أوتى الحظ الأوفر من الفصاحة والخطابة والشعر، وكان ذا عقل قضائي ناضج، وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور، وكثيرا ما يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفى واستجلاء ما أشكل، وقد ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء اليمن ودعا له بقوله : (اللهم ثبت لسانه واهد قلبه)[1] فكان موفقا ومسددا فيصلا في المعضلات حتى ضرب به المثل فقيل : (قضية ولا أبا حسن لها) [2]. والأعجب، فقد تربى في بيت النبوة، وتغذى بلبان معارفها وعمته مشكاة أنوارها))[3].

القرآن في رؤية أمير المؤمنين (عليه السلام)

المتصفح لنهج البلاغة لأمير البلاغة والبيان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يجده واصفاً القرآن بعدة أوصاف مستقاة من معين القرآن الذي لا ينضب فقد وصفه بالأوصاف الآتية :

١ - إن فيه تبياناً لكل شيء كما في قوله ((قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ وعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْياناً لِكُلِّ شيء وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ

١ - ورد في أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ١/ ٢٨٧ (عن علي (عليه السلام) :بعثني النبي (ص) إلى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني إلى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء فوضع يده على صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه).

٢ - مقولة لعمر بن الخطاب فضلاً عن قوله (لولا علي لهلك عمر) (ينظر : الرسالة السعدية / العلامة الحلي ٢٥).

٣ - التفسير والمفسرون / الذهبي ١/ ٨٩.

لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ...))[1]،وقوله ((أَمْ أَنْزَلَ الله سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ الله سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وآله) عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَالله سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شيء﴾[2] وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شيء))[3].

٢- وقد وصفه بأنه يصدق بعضه بعضاً،وأنه لا اختلاف فيه ولا عوج كما في قوله ((وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾[4]...))[5].

٣- إنه كتاب محفوظ إلى يوم القيامة فذكر أنه كتاب ناطق، وبيت عامر، ومعز لأعوانه كما في قوله ((وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ))[6].

٤- وأنه أحسن الحديث،وربيع القلوب،وشفاء من جميع العلل والأمراض، وأنفع القصص،وحبل الله المتين،وجلاء القلب كما ورد ذلك في قوله ((وتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ

١- نهج البلاغة ، الخطبة٨٦،ص١٢٦.

٢- الآية ٣٨ من سورة الأنعام .

٣- نهج البلاغة، من كلامه ١٨،ص٤٣-٤٤.

٤- الآية ٨٢ من سورة النساء .

٥- نهج البلاغة من كلامه ١٨،ص٤٤.

٦- المصدر نفسه، الخطبة ١٣٣،ص٢٢٠.

شِفَاءُ الصُّدُورِ وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ ...))[1] . وكذا قوله ((وَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِّ الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ...))[2]، وقوله ((فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ ...))[3]، وقوله ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ... وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ ...))[4].

٥- وأنه آمرٌ زاجرٌ،وصامتٌ ناطقٌ، حجةٌ من حجج الله تعالى على خلقه كما في قوله ((فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللهِّ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَقَبَضَ نَبِيَّهُ - صلى الله عليه وآله - ...))[5]،وكذا في قوله ((... فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالًا وَكَفَى بِاللهِّ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً))[6].

١- نهج البلاغة، الخطبة ١١٠، ص١٨٧-١٨٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة ١٧٦، ص ٢٩٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة نفسها، ص٢٩١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة ١٩٨، ص ٣٦٥-٣٦٦.

٥- المصدر نفسه، الخطبة ١٨٣، ص ٣٠٨.

٦- المصدر نفسه، الخطبة ٨ ص ١١٩.

٦- وأنه أول العلوم الإسلامية، ولا تنقضي علومه،وهو نورٌ لا ينطفيء، وسراج لا يخبو، وبحر لا يُدرَكُ،ومنهاج لا يُضِل ... كما في قوله ((... وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ))[١]،وكذا قوله ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجاً لاَ يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ...))[٢].

٧- وأنه الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وأنه شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ كما ورد ذلك في قوله ((وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى ... وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ

١- نهج البلاغة، من كلامه ١٨، ص ٤٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة ١٩٨، ص ٣٦٦.

الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ...))[1].

٨- وأنه منجي البشرية من جميع مشاكلها لذا يجب العمل به وتحكيم مناهجه كما في قوله ((... وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ ...))[2]، وكذا في قوله ((وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ ...))[3]،وقوله ((فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شيء))[4]، وقوله ((إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا))[5]،وقوله ((وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ ...))[6].

٩- إنه كتاب تحكيم،وفيه بيان لأحكام الله للبشر فقد ألمع الإمام علي (عليه السلام) إلى كون القرآن كتاب تحكيم في قوله ((... وَعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ وَبِمَا

١- نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦، ص ٢٩١.

٢- المصدر نفسه، الرسالة ٤٦ من وصية له للحسن والحسين - عليهما السلام - لما ضربه ابن ملجم - لعنه الله -، ص٤٩٤.

٣- المصدر نفسه، من كتاب له إلى الحارث الهمداني ٦٩، ص ٥٣٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة ٨٦، ص ١٢٦.

٥- المصدر نفسه،الخطبة ١٦٧، ص ٢٧٩.

٦- المصدر نفسه، الخطبة ١٧٦، ص ٢٩١.

فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ))[1]،أما كون القرآن مبيناً أحكام الله للبشر فقد ورد في قوله ((كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ))[2].

١٠- وهو الثقل الأكبر،وقد أخذ هذا المعنى من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) : ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض))[3]،وقد أورد هذا المعنى في قوله ((أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (صلى الله عليه وآله) إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَا أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ...))[4].

١١- فيه أخبار التاريخ والمستقبل كما في قوله ((وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ))[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة ٧٥، ص ١٠٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة ١، ص ٢١-٢٢.

٣- الحدائق الناضرة / المحقق الحراني ٩/ ٣٦٠.

٤- نهج البلاغة، الخطبة ٨٧،ص ١٣٠.

٥- نهج البلاغة، الحكمة ٣١٣، ص٦٠٩.

التفسير والتأويل

عندما نقلّب المعجمات العربية لاستخراج معنى التفسير والتأويل فإننا سنجدهما لفظتين مترادفتين فقد ورد أنّ (التفسير) بمعنى البيان والتفصيل والتوضيح، وهو مشتق من الفعل الثلاثي (فسر) قال الخليل : ((الفسر : التفسير وهو بيان وتفصيل للكتاب، وفسره يفسره فسرا، وفسره تفسيرا))[1] وذكر الراغب أن التفسير ((في المبالغة كالفسر، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها ...))[2]،وجاء في المعجم الوسيط ((فَسَرَ الشيء فَسْراً : وضّحه... وآيات القرآن الكريم : شرحها ووضّح ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرار وأحكام ... التفسير : الشرح والبيان، وتفسير القرآن : من العلوم الإسلامية يُقصَد منه توضيح معاني القرآن الكريم،وما انطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحِكَم وأحكام))[3].

أما التأويل فقد ذكره الخليل مقترناً بالتأول بمعنى التفسير إذ يقول: ((التأوّل والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه قال[4]: نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله))[5]،وكذا الحال عند ابن منظور الذي ذكر أن الأول هو ((الرجوع . آل الشيء يؤول أولا ومآلا : رجع . وأول إليه الشيء : رجعه... وأول الكلام وتأوله : دبره وقدره، وأوله وتأوله : فسره . وقوله

١- العين،مادة (فسر)، ٢٤٧/٧.

٢- مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني، مادة (فسر) ٦٣٦.

٣- المعجم الوسيط / مجموعة من المؤلفين، مادة (فسر)،٦٨٨.

٤- هو عمار بن ياسر في حروب صفين قالها لأصحاب معاوية، ينظر : بحار الأنوار ٢١/٣٣.

٥- العين، مادة (أول)،٣٦٨/٨.

عز وجل ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه، وقيل : معناه لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة، ودليل هذا قوله تعالى :﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾))[1] أما الراغب الذي ركّز على أنّ التأويل مشتق من الَأوْل وهو الرجوع إلى الأصل،ومنه الموئل وهو الموضع الذي يُرجَع إليه،وهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه [2] .

على أن من اللغويين من فرّق بين التفسير والتأويل مثل أبي هلال العسكري من القدماء،ومن المحدثين الشيخ محمد جعفر الكرباسي إذ يقول أبو هلال العسكري: ((الفرق بين التفسير والتأويل : أن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام، وقيل التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه يحتمل مجازا أو حقيقة ومنه يقال تأويل المتشابه، وتفسير الكلام إفراد آحاد الجملة ووضع كل شيء منها موضعه ومنه أخذ تفسير الأمتعة بالماء ...))[3]،ويفرّق الشيخ الكرباسي بينهما في أن التفسير هو ((البحث عن سبب نزول الآية والخوض في بيان موضع الكلمة من حيث اللغة. التأويل هو التفحص عن أسرار الآيات والكلمات وتعيين أحد الاحتمالات للآية))[4] .

وتعدّ مسألة التأويل من أهم المباحث التي عُني بها الفكر الإسلامي عامة

١- لسان العرب، مادة (أول)، ١١/ ٣٣، والآية هي من سورة يونس / الآية ٣٩.

٢- مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أول)،٩٩.

٣- الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري ١٢٩.

٤- الرسالة التامة في فروق اللغة العامة / الشيخ محمد جعفر الكرباسي ٧٤.

والمعارف القرآنية خاصة إذ إن لها تأثيراً في علوم متعددة مثل التفسير، والكلام، والعرفان، والفقه، وأصول الفقه[١].

ويميّز الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) بين صنفين من التفسير هما [٢]:

١- تفسير اللفظ : الذي يُعنى ببيان المعنى اللغوي للكلمات القرآنية.

٢- تفسير المعنى : الذي يحدد المصداق الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى.

ولعل أهمية التمييز بين هذين الصنفين : تفسير اللفظ على صعيد المفاهيم، وتفسير المعنى على صعيد المصاديق يبدو بين حقيقتين قرآنيتين هما [٣]:

١- كون القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية أنزله الله سبحانه ليخرجهم من الظلمات إلى النور،ويرشدهم إلى الطريقة المثلى في جوانب حياتها فقد وصف نفسه بأنه ﴿... هُدًى لِلنَّاسِ ... ﴾[٤]،و ﴿... نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِيْنٌ ﴾[٥]، و ﴿ ... تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ... ﴾[٦]، وهذه الحقيقة تفرض أن يجيء القرآن ميسر الفهم فلا يحقق القرآن أهدافه، ولا يؤدي رسالته لو لم يكن مفهوماً لدى الناس .

٢- إنّ كثيراً من الموضوعات التي يستعرضها القرآن قد تستعصي على الذهن البشري، ويتيه في مجال التفكير فيها لدقتها وابتعادها عن مجالات الحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان مثل اللوح، والقلم، والعرش، والموازين، والملك، والشيطان،

١- ينظر : أصول التفسير والتأويل / السيد كمال الحيدري ٢٩٣.

٢- ينظر : المدرسة القرآنية / الشهيد لسيد محمد باقر الصدر ٢٩٤-٢٩٥.

٣- ينظر : المصدر نفسه، ٢٩٦-٢٩٧.

٤- الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

٥- الآية ١٥ من سورة المائدة.

٦- الآية ٨٩ من سورة النحل.

وإنزال الحديد، ورجوع البشرية إلى الله، والخزائن، وملكوت السماء والأرض وغيرها.

فالصعوبة لا تكمن في تفسير اللفظ لأن المعنى اللغوي ميسر الفهم لدى الناس لكنها تكمن في تفسير معنى اللفظ؛لأن تلك الموضوعات ترتبط بعوالم أرقى من عالم الحس الذي يعيشه الإنسان فلا بد للإنسان من مواجهة هذه الصعوبات إذا استطاع تحديد المعنى في مصداق معين، وتجسيد المفهوم في الذهن ضمن واقع خاص، ويبدو أن القرآن جاء بهذه الموضوعات الصعبة الفهم على الرغم من كونه كتاب هداية إنما يستهدف بصورة رئيسة ربط البشرية بعالم الغيب، وتنمية غريزة الإيمان بالغيب فيها، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق تلك الموضوعات التي تنبه الإنسان إلى صلته بعالم أكبر من العالم المنظور،وإن كان غير قادر على الإحاطة بجميع أسراره وخصوصياته[1].

فإذا سمعنا بألفاظ السماء والأرض واللوح والقلم والعرش والكرسي والملك وأجنحته والشيطان وقبيله وخيله ورجله ...الخ،وكذا ألفاظ الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والرضا والغضب والخلق والأمر ... الخ تبادر إلى أذهاننا الوجودات المادية لمفاهيمها ومصاديقها الطبيعية،وهذا هو ديدنا في الألفاظ المستملة جميعها متناسين أنّ المسميات محكومة بالتغير والتبدل بحسب تبدل الحوائج في طريق التحول والتكامل[2].

ولما كانت لفظة (التفسير) مشتقة من فسّر لا من فسَرَ، بوصفها مصدراً مأخوذاً من صيغة (فعّل) التي هي أبلغ من صيغة (فعَل) فإن صياغته من باب التفعيل يقود

١- ينظر : المدرسة القرآنية ٢٩٧-٢٩٨.

٢-الإمام علي بن أبي طالب مفسّراً للقرآن/ د.أحمد راسم النفيس ١١.

للمبالغة في محاولة استنباط المعاني فكل زيادة في المباني ترافقها زيادة في المعاني [1] كما يقول الصرفيون .

ولما كان التفسير والتأويل مصطلحين مترادفين في استعمال السلف فإنهما جاءا متغايرين وربما التأويل أخص من التفسير إذ إن مورد التفسير إبهام المعنى بسبب تعقيد حاصل في اللفظ أما التأويل فمورده حصول شبهة في قول أو عمل أوجبت حصول المعنى المراد أي أنّ التأويل إزاحة هذا الخفاء فالتأويل مضافاً إلى أنه رفع إبهام فهو دفع شبهة أيضاً[2]،ويبدو أنّ التأويل أسلوب معرفي عام استعمله العقل البشري لاكتشاف الغموض من الألفاظ والحوادث والرموز فهو منهج مشروع قرآني،قد اقتضت طبيعة البيان القرآني أن يضم المحكم والمتشابه كما نص على ذلك القرآن إذ قال ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾- آل عمران / ٧ ، ويحتاج المتشابه لفهمه في كثير من الأحيان بالرجوع إلى التأويل،وإلى رده إلى المحكم [3]، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أعلم الصحابة بمواقع التنزيل ومعرفة التأويل [4]،وكان قبل غيره مفسرّاً لمتشابهات القرآن،ويختلف عنهم دراية وإحاطة وقدرة على تأويل آياته فقد نشطت حركة التفسير والتأويل أيام أمير المؤمنين (عليه السلام) [5].قال المجلسي : ((ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لان أكثره عنه

١- ينظر : التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب / الشيخ محمد هادي معرفة ١/ ١٣.

٢- ينظر : المصدر نفسه ١/ ١٨-١٩.

٣- ينظر : القرآن في مدرسة أهل البيت / هاشم الموسوي١١٨-١١٩.

٤- ينظر : التفسير والمفسرون / د.محمد حسين الذهبي ٨٩.

٥- ينظر : الإمام علي القرآن الناطق/ نعمة هادي الساعدي ٣٦.

وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه، وإنه تلميذه وخريجه وقيل له : أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط))[1] .

وقد ألّف علماء التفسير على مر الزمان المئات من كتب التفسير،ولو أتيح لأحد مراجعتها لوجدها لا تخلو من كلمات الإمام علي (عليه السلام) في التفسير مباشرة أو غير مباشرة عبر تلامذته؛لأهميتها الكبيرة،ولما تحمله من رؤى ثاقبة وبصائر عميقة بحيث لا يمكن غض النظر عنها[2].

ويبدو أنّ هناك فرقاً بين التفسير والتأويل فالتفسير هو الإحاطة بعلم القرآن من خلال معرفة معاني الكلام أما التأويل فلا يعتني بالمفاهيم اللفظية بل يعتني بالأمور الخارجية العينية فثمّ فرق بين معرفة الخبر،ووقوع المخبر به إذ إن معرفة الخبر تفسير القرآن ومعرفة المخبر به تأويله بمعنى آخر إن التأويل هو الحقيقة الخارجة، أما معرفة تفسيره ومعناه فهو معرفة الصورة العلمية[3].

ويمكن تصنيف الآيات التي وردت فيها مفردة التأويل على النحو الآتي :

تأويل للقول كما ورد ذلك في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾- آل عمران٧ [4].

١- بحار الأنوار ١٤٢/٤١.

٢- الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان ١٠٩.

٣- ينظر : علم الإمام - بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمة المعصومين (عليهم السلام) / السيد كمال الحيدري ٣٦٥.

٤- ومثلها الأعراف / ٥٣،٥٢،ويونس/ ٣٩،٣٨

تأويل للفعل كما ورد ذلك في قوله تعالى﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف/ ٧٨-٨٢[١].

تأويل للرؤيا كما ورد ذلك في قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ - يوسف/ [٢]٦.

لذا يمكن حصر معاني التأويل الواردة في النص القرآني بالآتي[٣] :

١- تفسير الأحلام وحقائقها المكنونة،وهي غير متاحة للجميع.
٢- الحِكَم والأسرار التي اكتهنتها أفعال الخضر (عليه السلام)،وغابت عن إدراك الكثير بمن فيهم النبي موسى (عليه السلام) .
٣- حقيقة الطعام ومصيره الذي رآه صاحبا النبي يوسف (عليه السلام) في منامهما في السجن.

١- ومثلها في النساء / ٥٩، والإسراء / ٣٥.

٢- ومثلها في يوسف/ ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

٣- بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم / محمود رجبي - البحث الأول (التفسير والتأويل)،ص٢١.

٤- العاقبة المجهولة لأفعال الإنسان المختارة إذ ليس بمقدور الجميع الاطلاع على مآل هذه الأفعال ووجهها الآخر.

وثمة من يفرّق بين التفسير والتأويل بالآتي :[١]

١- التفسير أعم من التأويل وأكثر استعمالاً في الألفاظ ومفرداتها،أما التأويل فأكثر ما يستعمل في الجمل، وكذا في الكتب الإلهية،وأما التفسير فيستعمل في الكتب الإلهية وغيرها.

٢- إنّ التفسير بيان معنى اللفظ الذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً،أما التأويل فهو بيان المعاني المحتملة للفظ الواحد.

٣- لتفسير بيان المعنى المقطوع من اللفظ،والتأويل ترجيح أحد المحتملات من المعاني غير المقطوع بها.

٤- التفسير بيان دليل المراد،والتأويل بيان حقيقة المراد.

٥- التفسير بيان المعنى الظاهر من اللفظ،والتأويل بيان المعنى المشكل.

٦- التفسير متعلق بالرواية،والتأويل متعلق بالدراية.

٧- التفسير متعلق بالإتباع والسماع،والتأويل متعلق بالاستنباط والنظر .

١- ينظر : أصول التفسير والتأويل ٣٠٠-٣٠١.

احتجاجاته القرآنية

قام أمير المؤمنين (عليه السلام) بفتح باب الحوار والسؤال عن القرآن وكل ما يتعلق بالشريعة المقدسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامة دونما تردد حتى في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين [1]،و لأمير المؤمنين (عليه السلام) احتجاجات قرآنية في موضوعات متعددة، واتجاهات متباينة فلم يعجزه الجواب عن كل ما سئل، ولم يستطع أحد أن يفلج حجته ويسفه برهانه، وراح الناس يقصدونه أينما حلّ وارتح يسألونه عما يدور في خلدهم من أسئلة حائرة وأفكار غامضة،ويناقشونه في معتقداتهم،ويتباحثون معه في مختلف قضاياهم،وهو ما جعله يملك القلوب والعقول معاً[2]؛ لأنه ذو ((ذكاء حي، قدير، واسع، عميق لا تفوته أغوار إذا هو عمل في موضوع أحاط به بعداً فما يفلت منه جانب ولا يُظلم منه كثير أو قليل . وغاص عليه عمقاً،وقلّبه تقليباً وعركه عركاً،وأدرك منه أخفى الأسباب وأمعنها في الاختفاء كما أدرك أصدق النتائج المترتبة على تلك الأسباب ما قرُب منها أد القرب،وما بعد أقصى البُعد))[3].

ولعل احتجاجاته القرآنية تحكي طبيعة علاقة الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن ومدى تفاعله معه فما من نص من احتجاجاته إلا وتجد فيه ما يعيدك إلى القرآن بنص آية منه، أو إظهار بصيرة من وحيه فالقرآن كتابه الأوحد الذي يستمد منه علومه ومعارفه،ويأخذ منه رؤاه وأفكاره،ويستنبط منه أحكامه وشرائعه من هنا

١- ينظر : أعلام الهداية - الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (أمير المؤمنين) / لجنة التأليف ٢/ ١٨٦.

٢- الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان ١٣٤.

٣- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ٢٨٣.

كان القرآن سلاحه الأول في منازلاته الفكرية والعقائدية إذ كان يعود إليه في كل بحث، ويستنطقه في كل قضية فهو المتقن لعلوم القرآن،والحافظ لآياته،والمتابع لنزوله،والعارف بأسراره،والملم ببصائره فمن يتأمل احتجاجاته يلمس حقيقة معرفة الإمام بالقرآن،وسعة فهمه لنصوصه،وقدرته الكبيرة على الاستدلال بآياته في كل موضوع [1]،وللتدليل على ذلك نذكر بعضاً من احتجاجاته :

احتجاجه (ع) على زنديق جاء مستدلا عليه بأي من القرآن متشابهة، ((تحتاج إلى التأويل، على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه، وعلى أمثاله في أشياء أخرى. جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له : لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم . فقال له عليه السلام : وما هو؟ قال : قوله تعالى : ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [2] وقوله : ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا﴾ [3]، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [4]،وقوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلآئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [5]

وقوله :﴿وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [6]، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [7]، وقوله : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ

١- الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان ١٣٥- ١٣٦.

٢- الآية ٦٧ من سورة التوبة.

٣- الآية ٤٥١من سورة الأعراف.

٤- الآية ٦٤من سورة مريم. .

٥- الآية ٣٨ من سورة النبأ.

٦- الآية ٢٣ من سورة الأنعام.

٧- الآية ٢٥ من سورة العنكبوت.

النَّارِ﴾ [1]، وقوله : ﴿قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ [2]، وقوله : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [4]، وقوله : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [5]، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [6]، وقوله : ﴿لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ [7]، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا ﴾ [8]،وقوله :﴿كلا إنهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [9]، وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [10]، وقوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ [11]،وقوله : ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي

١- الآية ٦٤ من سورة ص.

٢- الآية ٢٨ من سورة ق.

٣- الآية٦٥ من سورة يس.

٤-الآيتان ٢٢ - ٢٣ من سورة القيامة.

٥- الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

٦- الآيتان ١٣و١٤ من سورة النجم.

٧- دمج الآيتين : ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ - طه / ١٠٩، وقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ - النبأ/ ٣٨.

٨- الآية ٥١ من سورة الشورى.

٩- الآية ١٥ من سورة المطففين، وقد سقطت منها كلمتان هما (عن، ربهم) فالآية هي ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

١٠- الآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

١١- الآية ١٠ من سورة السجدة.

قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾[1]،وقوله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ ﴾[2]، وقوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾[3]،

وقوله : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [4]، وقوله : (فمن ثقلت موازينه، ومن خفت موازينه)[5] . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : فأما قوله تعالى : ﴿نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [6] إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته،فنسيهم في الآخرة أي: لم يجعل لهم من ثوابه شيئا، فصاروا منسيين من الخير، وكذلك تفسير قوله عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا﴾[7]يعني بالنسيان : أنه لم يثيبهم كما يثيب أوليائه، والذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين

آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب. وأما قوله﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [8] فإن ربنا تبارك وتعالى علوا كبيرا ليس بالذي ينسى، ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد تقول العرب : نسينا فلان فلا يذكرنا : أي إنه لا يأمر لهم بخير، ولا يذكرهم به . قال

١- الآية ٧٧ من سورة التوبة.

٢- الآية ١١٠ من سورة الكهف.

٣- الآية٥٣من سورة الكهف.

٤- الآية ٤٧ من سورة الأنبياء.

٥- إشارة الى الآيتين ٨و٩ من سورة الأعراف ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾،والآيتين ١٠٢و١٠٣ من سورة المؤمنون ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

٦- الآية ٦٧ من سورة التوبة.

٧- الآية ٥١ من سورة الأعراف.

٨- الآية ٦٤ من سورة مريم.

علي عليه السلام وأما قوله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٩]،وقوله : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [١٠] وقوله عز وجل﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ [١١] وقوله عز وجل يوم القيامة ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[١٢]،وقوله﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[١٣]وقوله : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١٤]فإن ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة، المراد : يكفر أهل المعاصي بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، والكفر في هذه الآية : « البراءة « يقول : فيبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم.

ويستمر الإمام (عليه السلام) في الإجابة على شبهات السائل بكل وضوح، وفي النهاية يقول له : ((فافهم هذا واعلمه، واعمل به، واعلم أنك ما قد تركت مما يجب عليك السؤال عنه أكثر مما سألت عنه، وأني قد اقتصرت على تفسير يسير من كثير لعدم حملة العلم، وقلة الراغبين في التماسه، وفي دون ما بينت لك بلاغ لذوي الألباب. قال السائل : حسبي ما سمعت يا أمير المؤمنين، شكرا لله لك على استنقاذي من عماية الشرك، وطخية الإفك، وأجزل على ذلك مثوبتك، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله أولا وآخرا على أنوار الهدايات، وأعلام البريات، محمد وآله

٩- الآية ٣٨ من سورة النبأ.

١٠- الآية ٢٣ من سورة الأنعام.

١١- الآية ٢٥ من سورة العنكبوت.

١٢- الآية٦٤ من سورة ص.

١٣- الآية ٢٨ من سورة ق.

١٤- الآية ٦٥ من سورة يس .

أصحاب الدلالات الواضحات، وسلم تسليما كثيرا))[1].

التفسير المغيّب

لعل الدليل على أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد كتب تفسيراً وشرحاً للقرآن الكريم هو احتجاجه على الزنديق من أنه أتى ((بالكتاب كَمُلا مشتملا على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام ...))[2]،وكذا احتجاجه على جماعة من المهاجرين والأنصار بالقول : ((يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل حلال، أو حرام، أو حد أو حكم، أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي، حتى أرش الخدش ...))[3].

وقد انبرى الباحث عبد الله علي أحمد الدقاق لإثبات هذا المصحف متوصلاً إلى أنه القرآن الذي قام بجمعه بوصية من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد باشر بالجمع بعد الوفاة بثلاثة أيام واستغرق فيها العدد نفسه بعد عرضه لروايات موثقة من الفريقين أحصاها بـ (٢٤-٣١) رواية،ويشير إلى أن الإمام عرضه على الخلفاء لكنهم لم يؤيدوه فاحتفظ به وسلّمه إلى الإمام الحسن،وهكذا ظل ينتقل هذا المصحف من إمام إلى إمام حتى وصل إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي

١- الاحتجاج ١/ ٣٥٨-٣٦٠.

٢- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) / الميرجهاني ١/ ٣٤٢.

٣- ينظر : التمهيد في علوم القرآن/ العلامة محمد هادي معرفة ٩/ ١٨٧.

عند خروجه سيظهر بهذا المصحف العلوي متطرقاً إلى أسباب إقدام الإمام على جمع القرآن بمصحف واحد من ذلك : تنفيذ وصية النبي (صلى الله عليه وآله) مشيراً إلى أن الزيادات الموجودة في المصحف إنما كانت من قبيل التفسير والتوضيح للقرآن الكريم أما مدة كتابة المصحف فقد اختلف فيها فقيل ثلاثة أيام،وقيل سبعة أيام، وقيل ستة أشهر،وقد رجّح الباحث الثلاثة أيام بالأدلة القوية المعتبرة[1]؛ لذا يعد تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) للقرآن الكريم من التفاسير التي غُيّبتْ،وأُسدل عليها الستار؛ لأسباب كثيرة منها : تغييب الهوية العلمية العلوية التي يتمتع بها أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو باب مدينة رسول،وأعلم الخلائق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن وغيره فهو الرائد الأول لكل علم بل هو موسوعة معارف متنوعة فلم ينل هذه المنزلة السامية في التفسير وفي غيره من العلوم بانزوائه في دهاليز مكة أو المدينة،واعتزاله الناس بالانكباب على مطالعة القرآن والتبحر في محتواه،وإنما كان في قلب الأحداث التي رسمت معالم الأمة الإسلامية في عهدها الأول فلم يغفل عن القرآن، وهو يقاوم شظف العيش وقسوة الظروف،والقرآن في صدره وهو يحمل أعداء الدين بسيفه البتّار،والقرآن أمام عينيه وهو يحكم البلاد إذ كان ملازماً للقرآن في الأحوال والظروف كلها حتى تجلى القرآن في حركاته وسكناته،ولم يجد الناس بداً من الرجوع إليه في معرفة معاني الآيات وتفسيرها، وقد شهد رجال التفسير عبر التاريخ كثرة ما روي عنه في تفسير القرآن،وشهدوا أيضاً بتفوقه في هذا الخصوص،وأنه إمامهم في التفسير[2].

وقد بادر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأصحابهم،وعلماؤنا بتفسير القرآن الكريم مثل تفسير الإمام الباقر (عليه السلام)،وتفسير أبي حمزة الثمالي،وتفسير التبيان

١- ينظر : حقيقة مصحف الإمام علي عند الشيعة والسنة / عبد الله علي أحمد الدقاق ٣٥٣-٣٥٥.

٢- الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان١١٣-١١٤.

للشيخ الطوسي،وتفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي،وغيرهم ممن عُنوا بالبحث عن أسرار القرآن،وكشف كنوزه،وبيان أحكامه،والعمل بها في مجالي الفهم والتطبيق[١].

وقد كان الدور الذي قام به أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم دور تربية وتعليم وإرشاد إلى معالم التفسير فقد كانت تفاسيرهم المأثورة عنهم تفاسير نموذجية كانوا قد عرضوها على الأمة والعلماء ليتعرفوا إلى أساليب التفسير عنهم، وهذا يدل على حرصهم الشديد على تعليم الأمة كيفية تفسير القرآن الكريم،وإيقافهم على نكت وطرف من هذا الكلام البارع فهم ورثة الكتاب الإلهي الخالد، وحملته إلى الناس بأمانة صادقة وأداء كريم[٢].

تفسير الإمام علي (عليه السلام) وأهميته :

إنّ الدليل على وجود التفسير عدة أمور منها :

الأمر الأول : روايات جمع القرآن التي تنص على أن أمير المؤمنين(عليه السلام) جمع القرآن المفسر ومعه شروح وتعليقات النبي (صلى الله عليه وآله) وشروح وتعليقات أمير المؤمنين(عليه السلام) نفسه، فأول عمل قام به بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) - وهو ما أوصاه به صلى الله عليه وآله - هو جمعه القرآن الكريم وترتيبه له بحسب النزول فضلاً عن معلومات فريدة عن النزول والتفسير والتأويل الذي تحتاجه الأمة الإسلامية،وكان قد عرضه على الخليفة الأول فقال : لا حاجة لنا به فأشار الإمام (عليه السلام) إلى أنهم سوف لا يحصلون عليه بعد ذلك اليوم[٣] كما

١- ينظر : تاريخ الأدب الإسلامي / د. عباس الترجمان ٤٠٢-٤٠٣.

٢- ينظر : التمهيد في علوم القرآن، العلامة محمد مهدي معرفة، ٩/ ٤٣٧-٤٣٨.

٣- ينظر : أعلام الهداية ٢/ ٢٢٥.

يتضح من الرواية الآتية ((لما رأى علي - عليه السلام - غدرهم وقلة وفائهم لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج حتى جمعه كله فكتبه على تنزيله والناسخ والمنسوخ، فبعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع، فبعث إليه أني مشغول فقد آليت بيمين أن لا أرتدي برداء إلا للصلوات حتى أؤلف القرآن وأجمعه، فجمعه في ثوب وختمه ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى - عليه السلام - بأعلى صوته : أيها الناس إني لم أزل منذ قبض رسول الله - صلى الله عليه وآله- مشغولا بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب، فلم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها كلها في هذا الثواب، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله - صلى عليه وآله- وعلمني تأويلها . فقالوا : لا حاجة لنا به عندنا مثله))[1].

وترد في كتب التاريخ والسيرة عبارة (مصحف علي) و (مصحف أُبي بن كعب) و(مصحف ابن مسعود)[2]، وقد توهَّم بعض الدارسين أنّ ذلك دليل على تحريف القرآن، وأنَّ مصحف علي (عليه السلام) فيه آيات غير الآيات الموجودة في مصاحف الآخرين .والصحيح أنَّ مصحف علي (عليه السلام) هو المصحف نفسه الذي جمعه ابن كعب وابن مسعود وغيرهم، ولكن الاختلاف هو في التأويل والتفسير، وقد ذكر السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) مجموعة من الروايات حول المصحف الذي جمعه أمير المؤمنين (عليه السلام)،وهو يختلف عن بقية المصاحف فالزيادات الموجودة عليه هي شروح للنص القرآني، وقد عقّب السيد الخوئي هذه الروايات بالقول : ((إن وجود مصحف لأمير المؤمنين - عليه السلام - يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن

١- الاحتجاج ١/ ١٠٧،وجامع أحاديث الشيعة / السيد البروجردي ١٣/ ٤٣،

٢- ينظر مثلاً: بحار الأنوار ٢٤/ ١٩،والاحتجاج ١/ ٢٢٣.

التكلف لإثباته، كما أن اشتمال قرآنه – عليه السلام – على زيادات ليست في القرآن الموجود، وإن كان صحيحا إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيرا بعنوان التأويل، وما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحا للمراد))[1]، و في الرواية الآتية : ((وقد كان بالمشهد الشريف الغروي مصحف في ثلاث مجلدات بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعمائة، يقال إنه كان في آخره : وكتب علي بن أبي طالب))[2].

وكان من تغييبهم لعلمه بالتفسير موقف الخلفاء الثلاثة الموحد من منعهم إياه من تفسير القرآن بحرقهم للمصاحف المفسّرة ففي هذه المصاحف حواشٍ تفسيرية للقرآن الكريم كان الصحابة الأوائل قد دونوها من أقوال الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) فمثلاً في تفسير آية الولاية وإكمال الدين وآية التبليغ، وقوله ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ – الأحزاب/ ٢٥، بيّن أنها نزلت في علي (عليه السلام)،وقد ذكِر ذلك في مصحف عبد الله بن مسعود،ومثل ذلك في بقية المصاحف، ولما كان وجود المصاحف في متناول أيدي المسلمين وفي طياتها هذا التفسير الذي يفضح المغتصبين لتراث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) فقد أمر أبو بكر وعمر وعثمان بحرقها حين تصل إليه الخلافة فهذا النوع من التفسير حرّموه على المحدّثين؛ لأنه يسحب البساط من تحت أقدام المنافقين الذين اغتالوا رسول الله وابنته فاطمة الزهراء ما هيأ ذلك لقتل أهل البيت وتصفيتهم وإبعادهم من الحكم فضلاً

---

١ – البيان في تفسير القرآن/ السيد الخوئي ٢٢٣.

٢ – عمدة لطالب / ابن عنبة ٢١، وقد كتب د.عبد الله السوداني بحثاً يثبت فيه أن ثمة مصاحف لأمير المؤمنين (عليه السلام)في بحثه الموسوم (مصاحف الإمام علي – عليه السلام –) المنشور في مجلة المصباح ع ٢،صيف ٢٠١٠-١٤٣١هـ) ص ٢٠٧-٢١٩.

عن منع تدوين السنة النبوية،لإبعادها عن القضايا التراثية والسياسية بقولهم (حسبنا كتاب الله)[1].

لكن علياً (عليه السلام) كان حريصاً - على الرغم من ذلك كله - على نشر الحديث والتفسير بما سنحت له الفرصة في زمن الخلفاء الثلاثة،وفي خلافته،وكان هذا التفسير موضع اعتزاز الأئمة الطاهرين مما حمل بعض الحاقدين على الشيعة أنّ عندهم مصحف غير المصحف المعهود،واتخذوا ذلك وسيلة للطعن عليهم، والصحيح ليس كذلك؛ لأن مصحف الإمام مصحف حافل بتفسيره وأسباب نزوله وغير ذلك[2].

الأمر الثاني : أسئلة المؤمنين الموالين وكذلك أسئلة المنافقين والحاقدين والمعادين وأسئلة غير المسلمين أو المسلمين الراغبين بمعرفة معارف القرآن أو صدق دعوته وهذه الأسئلة وجهت لمن أخذ منصب الخلافة مكان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي كل ذلك كان أمير المؤمنين(عليه السلام) نعم المجيب ونعم الطبيب فهو كابن عمه طبيب دوار بطبه قد أحكم مراهمه فيضع الدواء على العلة فتشفى ومن تلك العلل الأسئلة في القرآن وشبهاته فمن الأدلة على أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد كتب تفسيراً وشرحاً للقرآن الكريم هو احتجاجه على الزنديق من أنه أتى ((بالكتاب كَمُلا مشتملا على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام ...))[3]،وكذا احتجاجه على جماعة من المهاجرين والأنصار بالقول : ((يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى

١- ينظر : الإمام علي بن أبي طالب هو الإمام حقاً ٣٩٣-٣٩٤.

٢- موسوعة الإمام أمير المؤمنين ٣/ ٧-٨.

٣- بحار الأنوار ٩٠/ ١٢٦.

الله عليه وآله وسلم عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل حلال، أو حرام، أو حد أو حكم، أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي، حتى أرش الخدش ...))[1].

وكان ابن الكواء كثير السؤال فسأله عن معنى آية ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾- الذاريات/ ١ ، التي كان الإمام يحدّث بها حينها فأجابه : الريح . قال : فالحاملات وقراً؟ قال : السحاب. قال : فالجاريات يسراً؟ قال : السفن. قال : فالمقسمات أمراً؟ قال : الملائكة. قال فمن الذين بدلوا نعمة الله كفراً؟ قال : منافقو قريش[2]. وكان عمر بن الخطاب يهدد بدرته من يسأل عن معنى آية من القرآن،ويدل عليه سؤال أحد المسلمين عمر عن معنى (فاكهة وأباً) فيقول،وهو على المنبر :(كل هذا عرفناه فما الأب؟[3].

الأمر الثالث : الذي يشهد بوجود تفسير للإمام علي(عليه السلام) روايات جاءت عنه وعن الأئمة عليهم السلام منها النص منها الرواية أنفة الذكر التي رد فيها أمير المؤمنين على المهاجرين والأنصار[4] ومنها إنّ الإمام علي(عليه السلام) أعلم الناس بالقرآن قال :((سلوني عن كتاب فو الله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل نزلت أم في جبل...)) [5]، وما جاء عن الباقر (عليه

١- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) / الميرجهاني ١/ ٣٤٢.

٢- ينظر : المستدرك / الحاكم النيسابوري ٢/ ٤٦٧.

٣- ينظر : بحار الأنوار ٣٠/ ٦٩٣،والغدير/ الأميني ٦/ ٩٩..

٤- تنظر الرواية في مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) / ١/ ٣٤٢.

٥- بحار الأنوار : ١٠/ ١٢٥

السلام) انه قال:((ما يستطيع احد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء)) [1]، وعنه أي الباقر(عليه السلام) : ((عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:ما من أحد من الناس يقول: إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي ابن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام))[2].

الأمر الرابع : من أدلة وجود تفسير أمير المؤمنين(عليه السلام) ما موجود في كتب الروايات فقد جاء فيها ذكر أمير المؤمنين(عليه السلام) لأصناف آيات القرآن وأنواعها وتفسير بعضها ذاكرا أقسام علوم القرآن بالتفصيل مع التمثيل لكل قسم منها بمثال مؤصلا له فتحا الباب فيه كما فتح الباب في غيره من العلوم، وكل من كتب بعده فهو مدين له في هذا الجانب؛ لأنّ ما كتبه الأصل في هذا الجانب[3]، وكذلك ما جاء في كتب التفسير يشهد لعلي(عليه السلام) بتقدمه في تفسير القرآن وعلومه[4].

ومن المؤسف أن تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) للقرآن الكريم من التفاسير التي أُسدل عليها الستار؛ لأسباب كثيرة منها : تغييب الهوية العلمية العلوية التي يتمتع بها أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو باب مدينة رسول،وأعلم الخلائق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن وغيره فهو الرائد الأول لكل علم بل هو موسوعة معارف متنوعة فلم ينل هذه المنزلة السامية في التفسير وفي غيره

١- بحار الأنوار : ٨٩/ ٨٨.

٢- نفسه : ٨٩/ ٨٨ .

٣- تنظر الرواية في نفسه وفيها تفصيل واف وكاف لعلوم القرآن وتفسيره : ٩٠/ ١-١٤٥، ووسائل الشيعة ١٨/ ١٤٧، الحديث : ٦٢، ومستدرك سفينة البحار : ٨/ ٢٠٠.

٤- تنظر كتب التفسير الآتية: التبيان : ٧/ ٢٢٦، ومجمع البيان: ٥/ ٢٨٣، ٧/ ٤٠، ٨/ ٤٧٥، والتفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٣٥٦، ٣/ ٤٠٦، وغيرها.

من العلوم بانزوائه في دهاليز مكة أو المدينة،واعتزاله الناس بالانكباب على مطالعة القرآن والتبحر في محتواه،وإنما كان في قلب الأحداث التي رسمت معالم الأمة الإسلامية في عهدها الأول فلم يغفل عن القرآن، وهو يقاوم شظف العيش وقسوة الظروف،والقرآن في صدره وهو يحمل على أعداء الدين بسيفه البتّار،والقرآن أمام عينيه وهو يحكم البلاد إذ كان ملازماً للقرآن في الأحوال والظروف كلها حتى تجلى القرآن في حركاته وسكناته،ولم يجد الناس بداً من الرجوع إليه في معرفة معاني الآيات وتفسيرها، وقد شهد رجال التفسير عبر التاريخ كثرة ما روي عنه في تفسير القرآن،وشهدوا أيضاً بتفوقه في هذا الخصوص،وأنه إمامهم في التفسير[1].

أهمية تفسير الإمام علي (عليه السلام):

أولاً: تنبع أهمية تفسير الإمام علي ((عليه السلام)) من شخصيته التي تميزت بخلال منها أنه الأعلم والأتقى والأورع خليفة الله ورسوله في العالمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم وفي كل ذلك يشهد له القرآن الكريم والرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) فعن رسول اللهّ (صلى الله عليه وآله):(((علي مع الحق والحق مع علي ،ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)،(علي مع القرآن)، (علي مع القرآن والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، (علي مع الحق والقرآن ، والحق والقرآن مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، (أنا مدينة العلم وعلي بابها ،فمن أراد العلم فليأت الباب)، (علي عتبة علمي)، (علي باب علمي ، ومبين لأمتي ما أرسلت به ، من بعدي)، (اعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب)، (أقضى أمتي واعلم أمتي بعدي علي)، (يا علي ، أنت ... وارث علمي)، (أنا وعلي من شجرة واحدة)، (هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ؛ خليفتان نَصِيران)

١- الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان١١٣-١١٤.

أي يَتَناصَران ويتعاضَدان. والنصير: فَعيل بمعنى فاعِل أو مفعول؛ لأنّ كلَّ واحدٍ من المُتناصِرَين ناصِرٌ ومنصور))[1] وفي هذه الروايات ما يؤكد علاقته بالقرآن فهما وعلما وتبلغا وهما لا يفترقان أبدا وأحدهما ينصر الآخر وغيرها وفي حديث للرسول(صلى الله عليه وآله) يثبت فيه استغنائه عن الكل واحتياج الكل إليه فهو كبيت الله يؤتى قال أمير المؤمنين(عليه السلام): ((وأوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ...إني قد أخذت لك العهد يوم غدير خم بأنك خليفتي ووصيي، وأولى الناس بالناس من بعدي، فمثلك كمثل بيت الله الحرام، يأتونك الناس ولا تأتيهم))[2].

ثانياً: معلمه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ومن كان معلمه الرسول(صلى الله عليه وآله)حقيق أن يأخذ عنه فضلا عمّا يعتقده الشيعة الإمامية من كونه معصوما أي يلهم العلم، فيكون معلمه الوحي ورسول الله(صلى الله عليه وآله) قال أمير المؤمنين(عليه السلام) ((فإذا سألته أجابني وإذا سكت عنه ابتدأني فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرانيها وأملاها علي وكتبتها بخطي ودعا لي الله تبارك وتعالى أن يفهمني ويحفظني فما نسيت آية من كتاب الله مما علمني تأويلها فحفظته وأملاها علي فكتبتها بيدي))[3].

ثالثاً: أنه أول مفسر للقرآن بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالدلائل السابقة من جمع القرآن وشهادة الرسول(صلى الله عليه وآله) له وكذلك شهادة الأئمة(عليهم السلام) له، وشهادة الموالين لمدرستهم، قال المجلسي: ((ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لان

١- تنظر رواية هذه الأحاديث وغيرها ميزان الحكمة الرشهري: ٦/ ١٦.

٢- بحار الأنوار: ٩٠/ ١٥.

٣- المسترشد/ محمد بن جرير الطبري(الشيعي): ٢٣٥، وينظر: بحار الأنوار: ٤٠/ ١٣٩.

أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه، وإنه تلميذه وخريجه وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط))[1]،وكذلك شهادة الآخرين أي المنتمين لغير مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) فقد جاء عنهم إنّ الإمام علي (عليه السلام) صدر المفسرين وكل ما عند المفسرين وابن عباس الذي يعد ترجمان القرآن فمنه وهو أعلم الناس بالقرآن فقد ورد عنه قوله سلوني عن كتاب وهو أعلم الناس بالقرآن فهو كالغدير الذي يروي جميع الناس على خلاف الصحابة الذين يروي الواحد أو الاثنين فكلمة الإخاذ تعني الغدير قال عن أمير المؤمنين(عليه السلام) والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعوا لأصدرهم ((فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس ... وقال ابن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب ...وعن عامر بن واثلة قال : شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخطب فسمعته يقول في خطبته : سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به سلوني عن كتاب فو الله ما من آية إلا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل نزلت أم في جبل ...وعن مسروق قال : وجدت أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم مثل الإخاذ يروي الواحد والإخاذ يروي الاثنين والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعوا لأصدرهم)) [2].

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة لا خامس لهم وهم: علي بن أبي طالب (عليه السلام) - وكان أعلمهم ورئيسهم - وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس - وكان أصغرهم وأوسع باعاً في التفسير- [3] أما غير هؤلاء فلم

---

١ - بحار الأنوار / ٤١/ ١٤٢.

٢- تفسير القرطبي : ١/ ٣٥.

٣- ينظر : التمهيد في علوم القرآن: ٩/ ١٨٧.

يعهد عنهم سوى النزر اليسير، ومنهم زيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري،وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك،وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر،وجابر بن عبد الله،وعبد الله بن عمرو بن العاص،وغيرهم[1].

١- ينظر : التفسير والمفسرون / الذهبي ١/ ٦٣-٦٤.

منهجه في التفسير :

تقسم المناهج التفسيرية على قسمين هما التفسير بالعقل ويقصد به استعمال الوسائل العقلية والقوانين الفلسفية والمنطقية كقانون العلة والمعلول والنقيضان لا يجتمعان وغيرها وقد استعمال أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا اللون من التفسير على أصوله؛ لأنّه عقل كلي غير قابل للخطأ والاحتمال والشك والريب قد يكون منه التأويل الذي هو خلاف التفسير، والتفسير بالنقل وهو تفسير القرآن بالقرآن، التفسير البياني للقرآن، تفسير القرآن باللغة والقواعد العربية، تفسير القرآن بالسنة (بالمأثور) أي عن النبي ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ والأئمّة ـ عليهم السَّلام ـ الذي هو أحدهم؛ لأنه معصوم وجاء عنهم ((إن الله علّم نبيه (صلى الله عليه وآله) التنزيل والتأويل، فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا (عليه السلام))[1]، نلاحظ أنه أخذ التنزيل أي التفسير أو المعنى الظاهر، والتأويل عن رسول الله(ص) الذي قد يكون مرادفا مع التفسير فقد ورد عن علي (عليه السلام) : أن تفسيره تأويله أو التأويل خلاف التنزيل[2] مما يتطلب أمرا عقليا أو منطقيا وهو مما أُهل به أمير المؤمنين(عليه السلام)، وقد استعملها أمير المؤمنين(عليه السلام) جميعها لإيصال المعاني القرآنية لأنه(عليه السلام) :((المعلم الأوّل ـ بعد النبيّ ـ للتفسير و المصدر الأوّل للعلوم الإسلامية هو الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السَّلام)) [3] .

فمثلا من المناهج تفسير القرآن بالقرآن : وهو من التفسير بالنقل فالتفسير كما مرّ علينا في المدخل في أبسط تعريفاته البيان ورفع الإبهام فكانت أفضل الطرق

---

١ – وسائل الشيعة : ١٦/ ١٣٤.

٢– ينظر : بحار الأنوار : ٩٠ / ٤.

٣ – المناهج التفسيرية : جعفر سبحاني: ١٢؛ وينظر نفسه: ٦، ٦٠، ٧٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٥.

لرفع الإبهام في القرآن هو القرآن نفسه استنادا للقاعدة الذهبية التي جاءت في القرآن نفسه بأنّه تبيان لكلّ شيء ويقول: ﴿وَنَزّلنا عَلَيْكَ الكِتاب تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل : ٨٩] ثم عززها النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله : ((إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً))[١]،وورد القول عن علي في سؤال ابن الكواء ((قال: يا أمير المؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضا. قال: ثكلتك أمك يا ابن الكواء كتاب الله يصدق بعضه بعضا، ولا ينقض بعضه بعضا))[٢]، وجاء قوله أيضا في حديثه عن القرآن في البحار : ((ومنه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أخرى))[٣]، وكذلك في كلام له يصف فيه القرآن بقوله : ((كتاب اللهّ تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في اللهّ ولا يخالف بمصاحبه عن اللهّ))[٤]، وعُبِرَ عن تفسير القرآن بالقرآن بالتفسير الموضوعي أو البياني على رأي إذ هو : ((عبارة عن استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة ثم سياقها العام في المصحف كلّه التماساً لسرّه البياني))[٥] ودلت الروايات على استعمال أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا اللون من التفسير للتعريف بالمعاني القرآنية قالوا : ((إنّ عمر أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٦] ويقول : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ

١- بحار الأنوار : ٥٤/ ٢١٨ .

٢- المصدر نفسه :١٠/ ١٢٢، ونهج البلاغة:١/ ٥٤.

٣- بحار الأنوار : ٩٠/ ٤ .

٤- نهج البلاغة : ٢/ ١٢.

٥- المناهج التفسيرية : ١٤٥.

٦- الآية ١٥ من الأحقاف .

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[1] فإذا تمت المرأة الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثون شهرا كان الحمل منها ستة أشهر، فخلا عمر سبيل المرأة))[2].

وفسر أمير المؤمنين (عليه السلام) المُنعَم عليهم بآية قرآنية أخرى في تفسيره قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم ...) [الفاتحة : ٧] ((أي قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك لا بالمال والصحة فإنهم قد يكونون كفارا أو فساقا . وقال : هم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[3]))[4]، وهنا يكون الإمام (عليه السلام) قد فسّر القرآن بالقرآن، وهو أول من نهج هذا النمط من التفسير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وتتمثل شخصية الإمام علي (عليه السلام) التفسيرية بأهليته لبيان مراد الله تعالى في خطابه القرآني ((من إيضاح معنى لغوي عام،أو تفصيل إجمال،أو بيان مبهم،أو تخصيص عام،أو تجلية مصداق،أو استنباط حكم شرعي فرعي،أو إرشادي أو تنزيهي وغير ذلك مما ينتظمه تفسير النص القرآني))[5].

وللتعرف على منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسيره النص القرآني لابد

١- الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

٢ - وسائل الشيعة : ١٥/ ١١٧، وينظر علوم القرآن الحكيم : ٢٧٨.

٣ - الآية ٦٩ من سورة النساء .

٤ - التفسير الصافي : ١/ ٩٤.

٥- الدلالات التفسيرية في شواهد نهج البلاغة القرآنية،د.علي جواد الحجار، المؤتمر العلمي الدولي الأول، الجزء الخامس، جامعة الكوفة، كلية التربية الأساسية، ص ٣٣.

من الوقوف على مناحيه التفسيرية التي يمكن تلخيصها :

١- إيضاح المعنى اللغوي العام للآية : كما ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في قوله: ((وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته . ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها .فإن أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة))[1].

وقد يستشهد بآية حينما يُسأل عن لفظة معينة كما في شرحه لمعنى الفتنة عندما قام إليه رجل قائلاً : أخبرنا عن الفتنة،وهل سألتَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنها؟ فقال (عليه السلام) : ((إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ الله سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [2] عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ الله تَعَالَى بِهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ وَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَأَمْنُونَ سَطْوَتَهُ وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ

١- نهج البلاغة، الخطبة ١٧٥،ص ٢٩٢-٢٩٣.

٢- الآيتان ١و٢ من سورة العنكبوت.

عِنْدَ ذَلِكَ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ))[1].

وفي موضع آخر ينهى عن قول ويصححه فقد نهى عن التعوذ من الفتنة بل من مضلات الفتن؛ لأنه ما من أحد إلا وهو مشتمل على الفتنة كما ورد ذلك في قوله : ((لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ يَقُولُ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَ الرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ وَيَكْرَهُ انْثِلَامَ الْحَالِ)) [2].

٢- تفسير آية بلفظ : إذ يقول (عليه السلام) : ((كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً . وَسُئِلَ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً﴾ [3] فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ))[4].

٣- تفصيل مجمل آية : ورد الإيمان في القرآن الكريم مجملاً في معناه كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ - التوبة / ٢٣، لكنّ أمير المؤمنين فصّل في معناه حينما سئل عن معناه فقال : ((الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ،وَالْيَقِينِ،وَالْعَدْلِ،وَالْجِهَادِ،وَالصَّبْ

١- نهج البلاغة،الخطبة١٥٦، ص ٢٥٢-٢٥٣.

٢- المصدر نفسه، الكلمة ٩٣،ص ٥٦٦.

٣- الآية ٩٧ من سورة النحل.

٤- نهج البلاغة، الكلمة ٢٢٩،ص ٥٩١.

رُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الشَّوْقِ،وَالشَّفَقِ،وَالزُّهْدِ،وَالتَّرَقُّبِ فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ،وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ،وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ،وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ وَ سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى غَائِصِ الْفَهْمِ وَ غَوْرِ الْعِلْمِ وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ وَشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْكَافِرِينَ وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ وَمَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ للهِ غَضِبَ اللهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى التَّعَمُّقِ))[1].

وفي موضع آخر يعرّف الإيمان بأنه ((الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ))[2].

٤- تفسير آية بلفظ : كما في تفسيره العدل بالإنصاف،والإحسان بالتفضل [3] في قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ - النحل / ٩٠.

١- نهج البلاغة، الكلمة ٣١،ص ٥٥٥.

٢- المصدر نفسه، الكلمة ٢٢٧،ص ٥٩١.

٣- ينظر : المصدر نفسه،الكلمة٢٣١،ص٥٩١.

٥- وضع حد دلالي للفظة في تفسير آية : كما في وضعه الحد الدلالي للزهد في قوله ((الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ الله سُبْحَانَهُ : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ﴾ [١]))[٢].

٦- جري مصداق آية : كان (عليه السلام) يستخرج محاسن المعاني عن الآيات مما يبهر العيون ويحير العقول كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ - الأنفال / ٣٣، فقد استنبط من هذه الآية أنه ((كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَما كانَ الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَما كانَ الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قال الرضي: وهذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط))[٣].

٧- تفسير لفظتين في آية : كما رد ذلك في تفسيره العاكف والبادي في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ - الحج / ٢٥، في قوله ((وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلَّاتِ وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ﴾

١- الآية ٢٣ من سورة الحديد.

٢- نهج البلاغة،الكلمة ٤٣٩، ص ٦٣٢.

٣- المصدر نفسه، الحكمة ٨٨،ص ٤٨٣.

فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَالْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ...))[1]. وكذا الحال في قوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾- ق / ٢١، إذ يقول (عليه السلام) : ((فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ وَانْتَفِعُوا بِالذِّكَرِ وَالْمَوَاعِظِ فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ فَـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا))[2].

٨- جمع تفسيري بين مفهوم آيتين : كما في قوله ((لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ ﴾ [3] وَلاَ تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾[4]))[5].

نماذج مختارة من تفسيره المغيّب

- من تفسيره سورة الفاتحة :

يروى عن أمير المؤمنين(عليه السلام) مقولة مشهورة في تفسيره سورة الفاتحة،وهي قوله: ((لو شئت لأوقرتُ سبعين بعيرا في تفسير فاتحة الكتاب، ولما

١- نهج البلاغة، الوصية ٦٧، ص ٤٥٧.

٢- المصدر نفسه،الخطبة ٨٥،ص ١١٦.

٣- الآية ٩٩ من سورة الأعراف.

٤- الآية ٨٧ من سورة يوسف.

٥- نهج البلاغة، الكلمة ٣٧٧،ص ٦٢١-٦٢٢.

وجد المفسرون قوله لا يأخذون إلا به))[1]، ويبدو أنه فسرّ فاتحة الكتاب تفسيراً موجزاً؛ لأنّ لكل مقام مقالاً فالمقام لا يسمح في الإطالة، وذلك في كتابه إلى قيصر الروم جوابا عن مسائله في أنّ ((عمر لما جلس في الخلافة جرى بين رجل من أصحابه يقال له الحارث بن سنان الأزدي وبين رجل من الأنصار كلام ومنازعة فلم ينتصف له عمر فلحق الحارث بن سنان بقيصر وارتد عن الإسلام ونسى القران كله إلا قول الله عز وجل ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2] فسمع قيصر هذا الكلام قال سأكتب إلى ملك العرب بمسائل فإن أخبرني بتفسيرها أطلقت من عندي من الأسارى فعرضت عليهم النصرانية فمن قبل منهم استعبدته ومن لم يقبل قتلته وكتب إلى عمر بن الخطاب بمسائل أحدها سؤاله عن تفسير الفاتحة ...، ولما وردت هذه المسائل على عمر لم يعرف تفسيرها ففزع في ذلك إلى علي (عليه السلام) فكتب إلى قيصر . من علي بن أبي طالب صهر محمد ووارث علمه وأقرب الخلق إليه ووزيره ومن حقت له الولاية وأمر الخلق من أعدائه بالبراءة قرة عين رسول الله وزوج ابنته وأبي ولده أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو عالم الخفيات ومنزل البركات من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ورد كتابك وأقرأنيه عمر بن الخطاب فأما سؤالك عن اسم الله تعالى فإنه اسم فيه شفاء من كل داء وعون عن كل دواء،وأما الرحمن فهو عون لكل من آمن به وهو اسم لم يسم به غير الله الرحمن تبارك و تعالى،وأما الرحيم فرحم من عصى وتاب وآمن وعمل صالحا وأما قوله الحمد لله رب العالمين فذلك ثناء منا على ربنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا وأما قوله مالك يوم الدين فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيمة وكل من كان في الدنيا شاكا أو جبارا ادخله النار ولا يمتنع من

١- مناقب آل أبي طالب ٣٢٢.

٢- الآية ٨٥ من سورة آل عمران.

عذاب الله عز وجل شاك ولا جبار وكل من كان في الدنيا طائعا مديما محافظا إياه ادخله الجنة برحمته وأما قوله إياك نعبد وإياك نستعين فانا نستعين بالله عز وجل من ... الشيطان الرجيم لا يضلنا كما أضلكم وأما قوله اهدنا الصراط المستقيم فذلك الطريق الواضح من عمل في الدنيا عملا صالحا فإنه يسلك على الصراط إلى الجنة وأما قوله صراط الذين أنعمت عليهم بتلك النعمة التي أنعمها الله عز وجل على من كان قبلنا من النبيين والصديقين فنسأل الله ربنا أن ينعم علينا كما أنعم عليهم، وأما قوله غير المغضوب عليهم فأولئك اليهود بدلوا نعمة الله كفرا فغضب عليهم فجعل منهم القردة و الخنازير فنسأل ربنا تعالى أن لا يغضب علينا كما غضب عليهم،وأما قوله ولا الضالين فأنت وأمثاله يا عابد الصليب الخبيث ضللتم من بعد عيسى بن مريم فنسأل الله ربنا أن لا يضلنا كما ضللتم ...))[1].

وثمة تفسير آخر للحمد أوردته بعض المصادر إذ يروون أن رجلاً جاء إلى الإمام الرضا عليه السلام فقال له : يا ابن رسول الله اخبرني عن قول الله عز وجل (الحمد لله رب العالمين) ما تفسيره؟ فقال : لقد حدثني أبي عن جدي عن الباقر عن زين العابدين عن أبيه عليهم السلام أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : اخبرني عن قول الله عز وجل (الحمد لله رب العالمين) ما تفسيره؟ فقال : الحمد لله هو أن عرف عباده بعض نعمه عليهم جملا إذ لا يقدرون على معرفه جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم : قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا رب العالمين وهم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات وأما الحيوانات فهو يقلبها في قدرته ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه ويدبر كلا منها بمصلحته وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته ويمسك المتصل منها أن يتهافت ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ويمسك الأرض أن

١- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٤/ ١٢١.

تنخسف إلا بأمره انه بعباده لرؤوف رحيم وقال عليه السلام : رب العالمين مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون فالرزق مقسوم ...))[1]،وفسرّ رب العالمين بقوله ((يعني مالك الجماعات من كل مخلوق وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون يقلب الحيوانات في قدرته ويغذوها من رزقه ويحوطها بكنفه ويدبر كلا منها بمصلحته ويمسك الجمادات بقدرته ويمسك ما اتصل منا عن التهافت والمتهافت عن التلاصق والسماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه والأرض أن تنخسف إلا بأمره))[2] .

وفي قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) قال : ((أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ما مضى من أيامنا، حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا، والصراط المستقيم هو صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شئ من الباطل، وأما الطريق الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار . ولا إلى غير النار سوى الجنة))[3]. وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله تعالى﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ...﴾أي قولوا إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك لا بالمال والصحة فإنهم قد يكونون كفارا أو فساقا . وقال : هم الذين قال الله تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَّ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُّ عَلَيْهِم

١- عيون أخبار الرضا / الشيخ الصدوق ٢/ ٢٥٥،وبحار الأنوار ٢٦/ ٢٧٤،والتفسير الصافي/ ١/ ٨٣.

٢- التفسير الصافي ١/ ٨٣.

٣- تفسير نور الثقلين / الشيخ الحويزي ١/ ٢٢.

مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[1]))[2]،وهنا يكون الإمام (عليه السلام) قد فسّر القرآن بالقرآن، وهو أول من نهج هذا النمط من التفسير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

- من تفسيره سورة البقرة

١ - ﴿الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾- الآيتان ١و٢ ، قال الإمام عليه السلام : ((كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا : سحر مبين تقوله، فقال عز وجل : ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلته عليك وهو بالحروف المقطعة التي منها ألف ولام وميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، فاستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ قال الله تعالى ﴿ ألم ﴾ هو القرآن الذي افتتح بألم هو ﴿ ذلك الكتاب ﴾ الذي أخبر به موسى ومن بعده من الأنبياء، وأخبروا بني إسرائيل أني سأنزله عليك يا محمد كتابا عربيا عزيزا ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [3] ﴿ لا ريب فيه ﴾ لا شك فيه لظهوره عندهم كما أخبرهم أنبياؤهم أن محمدا صلى الله عليه وآله ينزل عليه الكتاب يقرؤه هو وأمته على سائر أحوالهم))[4] .

٢-وفي قوله تعالى ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ

١ - الآية٦٩ من سورة النساء.

٢ - التفسير الصافي ١/ ٩٤.

٣- الآية ٤٢ من سورة فصلت .

٤ - بحار الأنوار ٩/ ١٧٣.

عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾- الآية ٧ ، قال عليه السلام : ((سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فختم على قلوبهم وسمعهم، ليوافق قضاؤه عليهم علمه فيهم، ألا تسمع إلى قوله ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾))[1].

٣- وفي قوله ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ﴾- الآية١٩، قال عليه السلام : ((الرعد صوت الملك، والبرق سوطه))[2]. ويقول (عليه السلام) في موضع آخر،وقد ((سئل عن السحاب أين يكون؟ قال : يكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه فإذا أراد الله عز وجل أن يرسله أرسل ريحا فأثارته ووكل به ملائكة يضربون بالمخاريق، وهو البرق فيرتفع ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَاللهِ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[3] والملك اسمه الرعد))[4].

٤- قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ - الآية ٢٩:((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا لتعتبروا به ولتتوصلوا به إلى رضوانه، ولتتوقوا به من عذاب نيرانه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ اخذ في خلقها واتقانها ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولعلمه بكل شيء علم المصالح فخلق لكم كلما في الأرض لمصالحكم

١- مجمع البحرين ١/ ٦٢٢، والآية (ولو علم الله فيهم خيراً... - الأنفال / ٢٣).

٢- من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ١/ ٥٢٦.

٣- الآية ٩ من سورة فاطر.

٤- الكافي ٨/ ٢١٨.

يا بني آدم))[1].

٥- وفسّر سجود الملائكة لآدم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ - الآية / ٣٤، على أنه ليس سجود طاعة وعبادة وإنما اعتراف بالفضل لآدم حينما يسأله يهودي مقارناً بين آدم والنبي محمد (صلى الله عليه وآله) في الرواية الآتية((قال اليهودي : هذا آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكته، فهل فعل لمحمد شيئا من هذا؟ فقال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك، أسجد الله لآدم ملائكته فإن سجودهم له لم يكن سجود طاعة، وإنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافا بالفضيلة، ورحمة من الله له، ومحمد (صلى الله عليه وآله) أعطي ما هو أفضل من هذا، إن الله عز وجل صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنين بالصلاة عليه فهذه زيادة له يا يهودي))[2].

٦- وفسّر قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ - الآية ٤٥، تفسيراً باطنياً ((فالصبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة إقامة ولايتي، فمنها قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، ولم يقل : وإنهما لكبيرة؛لأن الولاية كبيرة حملها إلا على الخاشعين، والخاشعون هم الشيعة المستبصرون، وذلك لأن أهل الأقاويل من المرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم من الناصبية يقرون لمحمد (صلى الله عليه وآله) ليس بينهم خلاف وهم مختلفون في ولايتي منكرون لذلك جاحدون بها إلا القليل . وهم الذين وصفهم الله في

١- تفسير نور الثقلين : ١/ ٤٦.

٢- الاحتجاج ١/ ٣١٥.

كتابه العزيز فقال : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾))[1].

٧- وفي قوله ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ﴾ - الآية ٤٦، يقول (عليه السلام): يوقنون أنهم مبعوثون والظن منهم يقين [2].

٨- وفي قوله: ﴿... فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ -الآية ٥٤، قال (عليه السلام) : ((قالوا لموسى ما توبتنا؟قال :يقتل بعضكم بعضا فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه والله لا يبالي من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا فأوحى الله إلى موسى مرهم فليرفعوا أيديهم وقد غفر لمن قتل وتيب على من بقي))[3].

٩- وفي قوله ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين/ الآية ٥٨ ﴾ قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : ((فهؤلاء بنو إسرائيل نصب لهم باب حطة وأنتم يا معشر أمة محمد نصب لكم باب حطة أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، وأمرتم باتباع هداهم ولزوم طريقتهم، ليغفر [لكم] بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطتكم أفضل من باب حطتهم، لان ذلك [كان] باب خشب، ونحن الناطقون الصادقون المرتضون الهادون الفاضلون، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله :((إن النجوم في السماء أمان من الغرق، وإن أهل بيتي أمان لأمتي من الضلالة في أديانهم، لا يهلكون (فيها

١- بحار الأنوار ٢٦/ ٢.

٢- ينظر : تفسير العياشي / محمد بن مسعود العياشي ١/ ٤٤.

٣- الدر المنثور / السيوطي ١/ ٦٩.

ما دام فيهم) من يتبعون هديه وسنته)). أما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال: ((من أراد أن يحيا حياتي، وأن يموت مماتي، أن يسكن الجنة التي وعدني ربي، وأن يمسك قضيبا غرسه بيده وقال له : كن فكان، فليتول علي بن أبي طالب عليه السلام، وليوال وليه، وليعاد عدوه، وليتول ذريته الفاضلين المطيعين لله من بعده، فإنهم خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذب بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي))[٤].

١٠-وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ / الآية ١١٤﴾ يفسّر المساجد بجميع الأرض معرّجاً على حديث نبوي إذ يروى عن زيد بن علي عن آبائه عن علي (عليه السلام) أنه ((أراد جميع الأرض لقول النبي صلى الله عليه وآله جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا))[٥].

١١-وفي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ - الآية / ٥٤﴾ يقول (عليه السلام) : ((وأخرج ابن أبي حاتم عن علي قال : قالوا لموسى ما توبتنا؟ قال : يقتل بعضكم بعضا، فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه لا يبالي من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا، فأوحى الله إلى موسى : مرهم فليرفعوا أيديهم، وقد غفر لمن

٤- تفسير الإمام العسكري / المنسوب إلى الإمام العسكري ٥٤٦.

٥- تفسير نور الثقلين ١/ ١١٧.

قتل وتيب على من بقي))[1].

١٢- وفي قوله﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ - الآية / ٩٢ يقول (عليه السلام) : ((لما تعجل موسى إلى ربه عمد السامري فجمع ما قدر عليه من حلي بني إسرائيل، فضربه عجلا ثم ألقى القبضة في جوفه فإذا هو عجل جسد له خوار، فقال لهم السامري، هذا إلهكم وإله موسى : فقال لهم هارون : يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا؟ فلما إن رجع موسى أخذ برأس أخيه، فقال له هارون ما قال، فقال موسى للسامري: ما خطبك؟ فقال : قبضت قبضة من أثر الرسول، فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي، فعمد موسى إلى العجل، فوضع عليه المبارد فبرده بها وهو على شط نهر، فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد ذلك العجل إلا اصفر وجهه مثل الذهب))[2].

١٣- وفي قوله تعالى﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ - الآية / ١١٥، يسأله سائل : ((من هؤلاء الحجج؟ قال : هم رسول الله ومن حل محله من أصفياء الله الذين قال الله : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه))[3].

وفي سؤال بعض اليهود عليا عليه السلام ((عن الواحد إلى المائة قال له اليهودي

١- فتح القدير / الشوكاني ١/ ٨٦.

٢- كنز العمال / المتقي الهندي ٢/ ٤٦٧، والدر المنثور ٤/ ٣٠٥.

٣- تفسير نور الثقلين ١/ ١١٨.

فأين وجه ربك؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : يا بن عباس أتيني بنار وحطب، فأتيته بنار وحطب، فأضرمها ثم قال : يا يهودي أين يكون وجه هذه النار فقال : لا أقف لها على وجه، قال : ربي عز وجل على هذا المثل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله))[1].

١٤-وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ / الآية ١٥٩﴾ قال السيوطي ((عن علي بن أبي طالب في قوله﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾قال من الذهب والفضة ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال يعنى من الحب والتمر وكل شيء عليه زكاة))[2].

١٥-وفي حديثه عن ليلة القدر استشهد بقوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ / الآية ١٨٥﴾ في قوله ((وليلة القدر ليلة عظيمة شريفة شرفها الله تعالى في محكم كتابه المنزل على لسان نبيه الصادق فقال : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فمن اهتدى إلينا وشايعنا كانوا هم السعداء ومن لم يهتد إلينا كانوا هم الأشقياء الذين لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم))[3].

١٦- وفي قوله ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى

١- تفسير نور الثقلين:١/ ١١٧.

٢- الدر المنثور ١/ ٢٦١.

٣- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغالب / الشيخ علي اليزدي الحائري ١/ ١٠٣.

وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ - الآية / ١٨٩، قال(عليه السلام): ((نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها نحن باب الله وبيوته التي نؤتى منه فمن تابعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها))[١].

١٧- وفي قوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ - الآية / ١٩٦﴾ سئل عن هذه الآية ففسّرها تفسيراً فقهياً فقال ((الصيام ثلاثة أيام والصدقة ثلاثة آصع [٢]على ستة مساكين والنسك شاة))[٣]، وقال في قوله (فصيام ثلاثة أيام) ((قبل التروية يوم، ويوم التروية، ويوم عرفة فإن فاتته صامهن أيام التشريق))[٤].

١٨- وكذا في قوله ﴿وَاذْكُرُوا الله فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ... - الآية / ٢٠٣﴾ فقد فسّرها أيضاً تفسيراً فقهياً . قال السيوطي : ((أخرج عبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب قال : الأيام المعدودات ثلاثة أيام يوم الأضحى ويومان بعده اذبح في أيها شئت وأفضلها أولها))[٥].

١٩-وفي قوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

١- مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب ١/ ٣١٤.

٢- واحدها صاع، وهو مكيال يسع أربعة أمداد (ينظر : مجمع البحرين ٢/ ٦٤٦).

٣- مناقب آل أبي طالب ١/ ٢١٤.

٤- فتح القدير ١/ ١٩٩.

٥- الدر المنثور ١/ ٢٣٤.

وَالْأَرْضَ﴾- الآية / ٢٥٥، يُسأل عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ فيقول : ((السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله، فأما ملك منهم ففي صورة الآدميين. وهي أكرم الصور على الله، وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لبنى آدم، والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم وهو يطلب إلى الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع البهائم، والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطير وهو يطلب إلى الله تبارك وتعالى ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير، والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيد السباع وهو يرغب إلى الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور ولا أشد انتصابا منه حتى اتخذ الملاء من بني إسرائيل العجل فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياء من الله أن عبد من دون الله شيء يشبه وتخوف أن ينزل به العذاب))[1].

٢٠- وفي قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ الله مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - الآية / ٢٥٩ ، يقول (عليه السلام) : ((خرج عزير نبي الله من مدينته وهو شاب فمر على قرية خربة وهي خاوية على عروشها فقال : (أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) فأول ما خلق منه عيناه فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض،

١- تفسير نور الثقلين ٢٦٢/١.

كسيت لحما ثم نفخ الروح، فقيل له كم لبثت؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم، قال : بل لبثت مائة عام فأتى مدينته وقد ترك جارا له إسكافا شابا فجاء وهو شيخ كبير))[1].

٢١- وفي قوله تعالى ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ - الآية ٢٨٢ ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ قال : إذا ضلت إحداهما عن الشهادة ونسيتها، ذكرت إحداهما بها الأخرى فاستقامتا في أداء الشهادة . عدل الله شهادة امرأتين بشهادة رجل، لنقصان عقولهن ودينهن . ثم قال عليه السلام : معاشر النساء خلقتن ناقصات العقول، فاحترزن من الغلط في الشهادة فان الله تعالى يعظم ثواب المتحفظين، والمتحفظات في الشهادة . ولقد سمعت محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ما من امرأتين احترزتا في الشهادة فذكرت إحداهما الأخرى حتى تقيما الحق، وتنفيا الباطل إلا إذا بعثهما الله يوم القيامة عظم ثوابهما، ولا يزال يصب عليهما النعيم ويذكرهما الملائكة ما كان من طاعتهما في الدنيا، وما كانتا فيه من أنواع الهموم فيها، و [ما] أزاله الله عنهما حتى خلدهما في الجنان . وإن فيهن لمن تبعث يوم القيامة، فيؤتى بها قبل أن تعطى كتابها، فترى السيئات بها محيطة، وترى حسناتها قليلة، فيقال لها : يا أمة الله هذه سيئاتك، فأين حسناتك؟ فتقول: لا أذكر حسناتي . فيقول الله لحفظتها : يا ملائكتي تذاكروا حسناتها وتذكروا خيراتها؟ . فيتذاكرون حسناتها . يقول الملك الذي على اليمن للملك الذي على الشمال : أما تذكر من حسناتها كذا وكذا؟ . فيقول : بلى، ولكني أذكر من سيئاتها كذا وكذا، فيعدد . فيقول الملك الذي على اليمين له : أفما تذكر توبتها منها؟

١- كنز العمال ٢/٣٦٤.

قال لا أذكر . قال : أما تذكر أنها وصاحبتها تذاكرتا الشهادة التي كانت عندهما حتى اتفقتا وشهدتا [بها] ولم يأخذهما في الله لومة لائم؟ فيقول : بلى . فيقول الملك الذي على اليمين للذي على الشمال : أما إن تلك الشهادة منهما توبة ماحية لسالف ذنوبهما، ثم تعطيان كتابهما بأيمانهما، فتجدان حسناتهما كلها مكتوبة [فيه] وسيئاتهما كلها . ثم تجد في آخره : يا أمتي أقمت الشهادة بالحق للضعفاء على المبطلين، ولم تأخذك في الله لومة لائم، فصيرت لك ذلك كفارة لذنوبك الماضية، ومحواً لخطيئاتك السالفة))[1].

٢٢- وقال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ﴾ - من الآية / ٢٨٢: من كان في عنقه شهادة، فلا يأب إذا دعي لإقامتها، وليقمها ولينصح فيها ولا يأخذه فيها لومة لائم، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر))[2].

- من تفسيره سورة آل عمران

١- أفاد من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾- الآية / ٧، في تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عز وجل فقال : ((أما المحكم الذي لم ينسخه شيء من القرآن فهو قول الله عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وإنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلات من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء . . . وأما المتشابه من القرآن فهو الذي انحرف منه، متفق

١- تفسير الإمام العسكري ٦٧٨.

٢- المصدر نفسه ٦٧٨.

اللفظ مختلف المعنى، مثل قوله عز وجل : ﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فنسب الضلالة إلى نفسه في هذا الموضع، وهذا ضلالهم عن طريق الجنة بفعلهم، ونسبه إلى الكفار في موضع آخر ونسبه إلى الأصنام في آية أخرى))[1].

٢- وألمع إلى التقية التي وردت في قوله تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِّ الْمَصِيرُ﴾ / الآية ٢٨ فقال : ((وأمرك أن تستعمل التقية في دينك فان الله عز وجل يقول ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ وقد أذنت لك في تفضيل أعداءنا ان لجأك الخوف إليه وفي اظهار البراءة منا ان حملك الوجل عليه وفي ترك الصلوات المكتوبات إن خشيت على حشاشتك الآفات والعاهات فإن تفضيلك أعداءنا علينا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا وإن إظهارك براءتك منا عند تقيتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا ولئن تبرأت منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك لتبقى على نفسك روحها التي بها قوامها ومالها الذي به قيامها وجاهها الذي به تماسكها وتصون من عرفك بذلك وعرفت به من أولياءنا وإخواننا من بعد ذلك بشهور وسنين إلى أن يفرج الله تلك الكربة وتزول به تلك الغمة فإن ذلك أفضل من أن تتعرض للهلاك وتنقطع به عن عمل الدين وصلاح إخوانك المؤمنين وإياك ثم إياك أن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك شائط بدمك ودم إخوانك معرض لنعمتك ونعمهم على الزوال مذل لك ولهم في أيدي أعداء دين الله وقد أمرك الله بإعزازهم فإنك إنْ خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك وإخوانك أشد من ضرر المناصب لنا

١- ميزان الحكمة ٣/ ٢٥٣٤.

الكافر بنا))[1].

٣- وفي قوله تعالى ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ - الآيتان / ٣٤و٣٥ قال : ((إن الله أوحى إلى عمران إني واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني، وجاعله رسولا إلى بني إسرائيل، فحدث امرأته حنة بذلك وهي أم مريم فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاما فلما وضعتها أنثى قالت رب إني وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى لان البنت لا تكون رسولا))[2].

٤- وفي تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الآية / ٦٨، يقول : ((إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به ...))[3].

٥- وفي تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ - الآية / ٨١ يقول : ((لم يبعث الله نبياً - آدم ومن بعده - إلا أخذ عليه العهد على أن بعث الله محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره بأن يأخذ العهد بذلك على

١- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٣/ ٢٠١.

٢- بحار الأنوار ١٤/ ٢٠٠.

٣- المصدر نفسه ١/ ١٨٣.

قومه))[1].

ويروى عنه أيضاً قوله ((إن الله أخذ الميثاق على الأنبياء أن يخبروا أمتهم بمبعث رسول الله وهو محمد (صلى الله عليه وآله) ونعته وصفته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه،ويقولوا هو مصدق لما معكم من كتاب وحكمة،وإنما الله أخذ ميثاق الأنبياء ليؤمنن به ويصدقوا بكتابه وحكمته كما صدق بكتابهم وحكمتهم))[2] . وقد سئل عن قوله تعالى﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾- الآية/ ٩٦: أهو أول بيت فأجاب (عليه السلام) : ((لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة وأول من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته قريش))[3].

- من تفسيره سورة النساء

١- في قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾- الآية / ١ يقول (عليه السلام) : ((إن أحدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فأيما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدن منه فان الرحم إذا مستها الرحم استقرت، وإنها متعلقة بالعرش ينتقضه انتقاض الحديد فينادي : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وذلك قول الله في كتابه ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا ﴾))[4].

١- بحار الأنوار ١١/ ١٣.

٢- تفسير كنز الدقائق / الميرزا محمد المشهدي ٢/ ١٤٢.

٣- **مناقب آل أبي طالب ٣٢٢/١.**

٤- **تفسير العياشي ٢١٧/١.**

٢- وفي قوله تعالى ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ - الآية / ٢٣ يقول : ((الربائب عليكم حرام مع الأمهات اللاتي قد دخلتم بهن، هن في الحجور وغير الحجور سواء،...))[١].

٤- ونجد تفسيراً فقهياً للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لقوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾- الآية ٢٩، يرويه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ يقول : ((سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الجبائر تكون على الكسير كيف يتوضأ صاحبها وكيف يغتسل إذا أجنب؟ قال : يجزيه المس بالماء عليها في الجنابة والوضوء، قلت : فإن كان في برد يخاف على نفسه إذا افرغ الماء على جسده فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما »))[٢].

٤- ويفسّر (عليه السلام) المقصود من أولي الأمر في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ - الآية / ٥٩ ، فيقول : ((الذين قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في آخر خطبته يوم قبضه الله عز وجل إليه : إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إلي أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كهاتين - وجمع بين مسبحتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين المسبحة والوسطى - فتسبق إحداهما الأخرى، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلوا ولا تقدموهم فتضلوا))[٣].

---

١ - الاستبصار / الشيخ الطوسي ٣/١٥٦.

٢- تفسير العياشي ١/ ٢٣٦.

٣- الكافي ٢/ ٤١٥.

٥- ويُسأل عن قوله تعالى ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾- الآية/ ١٢٨ ، فيجيب بحكم فقهي بقوله ((والرجل عنده امرأتان فتكون إحداهما قد عجزت أو تكون دميمة فيريد فراقها فتصالحه على أن يكون عندها ليلة وعند الأخرى ليالي ولا يفارقها فما طابت به نفسها فلا باس به فإن رجعت سوى بينهما)) [١].

٦- وفسّر تكليم الله موسى في قوله تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾- الآية / ١٦٤، بقوله ((كلم الله موسى تكليما بلا جوارح وأدوات وشفة ولا لهوات سبحانه وتعالى عن الصفات))[٢].

- من تفسيره سورة المائدة

١- سئل (عليه السلام) عن السحت الوارد في قوله تعالى﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ - الآية/ ٤٢ ، فقال الرشا فقيل له في الحكم قال ذاك الكفر[٣] .

٢- إن رجلا سأل عليا (عليه السلام) عن الهدي مما هو قال لثمانية الأزواج فكأنّ الرجل شكّ .

١- الدر المنثور ٢/ ٢٣٣.

٢- التفسير الصافي ١/ ٥٢٢.

٣- ينظر : الدر المنثور ٢/ ٢٨٤.

فقال علي (عليه السلام) : أتقرأ القرآن؟

قال الرجل : نعم.

قال (الإمام) : أ فسمعت الله يقول :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ (١)

قال (الرجل) : نعم .

قال (الإمام) فهل سمعته يقول ﴿...لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾(٢)،﴿ ... وَمِنَ الْأَنْعَامِ حُمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾(٣) .

قال (الرجل) : نعم .

قال: فسمعت الله يقول ﴿ ...مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين... ﴾ (٤).

قال: نعم.

قال: فسمعت الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هديا بالغ الكعبة﴾(٥)

١- الآية ١ من سورة المائدة.

٢- الآية ٣٤ من سورة الحج.

٣- الآية ١٤٢ من سورة الأنعام.

٤-الآيتان١٤٣-١٤٤ من سورة الأنعام.،وهما قوله تعالى ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا ..﴾.

٥- الآية ٩٥ من سورة المائدة.

فقال الرجل نعم .

فقال (الإمام) : إن قتلت ظبيا فما عليّ؟

قال (الرجل) : شاة.

قال علي (عليه السلام) : هديا بالغ الكعبة.

قال الرجل : نعم .

فقال علي (عليه السلام) :قد سماه الله بالغ الكعبة كما تسمع))[1].

- من تفسيره سورة الأنعام

١- في قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾- الآية / ٥٢ يورد السيوطي رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً : ((أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعنى الصلاة المكتوبة))[2].

٢- وفي قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾- الآية ١٦٠ يفسّر الحسنة والسيئة بقوله مخاطباً أبا عبد الله الجدلي ((يا أبا عبد الله هل تدري ما الحسنة التي من جاء بها هم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار؟ قلت : لا، قال : الحسنة مودتنا أهل البيت، والسيئة عداوتنا أهل البيت))[3] .

١- الدر المونثور: ٢، ٣٣٠.

٢-المصدر نفسه: ٣/ ١٤.

٣- تفسير الثعلبي / الثعلبي ٤/ ١٦١.

- من تفسيره سورة الأعراف

١- في قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ - الآية / ٨-٩ يذكر أن ((قوله ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ و ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فإنما يعني الحسنات توزن الحسنات والسيئات، والحسنات ثقل الميزان،والسيئات خفة الميزان))[١].

٢-وفي قوله تعالى ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾- الآية / ٤٦، يقول (عليه السلام) : ((نحن الأعراف نحن نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف نوقف يوم القيمة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه وذلك بان الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف الناس حتى يعرفوه ويوحدوه ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه))[٢].

وروى الأصبغ بن نباتة قال : ((كنت جالسا عند علي (عليه السلام) فأتاه ابن الكواء فسأله عن هذه الآية، فقال : ويحك يا بن الكواء نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار))[٣].

١- بحار الأنوار ٢٤/ ٤١، وهو تفسير يشير فيه إلى قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۝ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ - القصص / ٨٩-٩٠﴾.

٢- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٣/ ٧٦

٣- بحار الأنوار: ٨/ ٣٣٢.

٣- وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ - الآية / ٥٤، يتحدث عن العرش ليزيل شبهة الذين يظنون أنه كهيأة السرير فيقول : ((إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهيئة السرير، ولكنه شئ محدود مخلوق مدبر، وربك عز وجل مالكه، لا أنه عليه ككون الشئ على الشئ، وأمر الملائكة بحمله، فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه))[١].

وقد سأل الجاثليق - وهو عالم نصراني - أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله عز وجل حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[٢]، قال : فأخبرني عن قوله : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾[٣] فكيف قال ذلك؟ وقلت : إنه يحمل العرش والسماوات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة : نور أحمر، منه احمرت الحمرة ونور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أبيض منه [أبيض] البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة، فكل

١- بحار الأنوار: ٣/ ٣٣٤، ٥٥/ ٩.

٢- الآية ٤١ من سورة فاطر.

٣-الآية ١٧ من سورة الحاقة.

محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فكل شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من شيء، وهو حياة كل شيء ونور كل شيء، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . قال له : فأخبرني عن الله عز وجل أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [1] فالكرسي محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول، فإنه يعلم السر وأخفى وذلك قوله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [2] فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله عليه السلام فقال : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [3] وكيف يحمل حملة العرش الله وبحياته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا إلى معرفته؟ !)) [4].

٣- وفي قوله تعالى﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الآية / ١٤٣ ، يقول (عليه السلام) : ((وقد سأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من حمد الله عز وجل﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فكانت

---

١ -الآية ٧ من سورة المجادلة.

٢- الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

٣- الآية ٧٥ من سورة الأنعام.

٤- الكافي ١/ ١٢٩-١٣٠.

مسألته تلك أمرا عظيما وسأل أمرا جسيما فعوقب، فقال الله تبارك وتعالى : لن تراني في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة، ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فانظر ﴿ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ فأبدى الله سبحان بعض آياته وتجلى ربنا للجبل فتقطع الجبل فصار رميما وخر موسى صعقا، يعني ميتا فكان عقوبته الموت ثم أحياه الله وبعثه وتاب عليه، فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾يعني أول مؤمن آمن بك منهم أنه لن يراك،...))[1].

٤- أما قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ - الآيات ١٦٣-١٦٦﴾ فقد ورد تفسيرها في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام)،ورواها عنه أبو جعفر الباقر (عليه السلام) الذي يقول : وجدنا في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام)إن قوما من أهل إيلة من قوم ثمود، وان الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك، فشرعت لهم يوم سبتهم في ناديهم،وقدام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم، فتبادرا إليها فاخذوا يصطادونها ويأكلونها، فلبثوا بذلك ما شاء الله لا ينهاهم الأحبار، ولا ينهاهم العلماء من صيدها، ثم إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم إنما نهيتم من أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها فاصطادوا يوم السبت وأكلوها فيما سوى ذلك من الأيام، فقالت طائفة منهم الآن نصطادها،وانحازت طائفة [أخرى] منهم ذات اليمين

---

١ - التوحيد ٢٦٣.

وقالوا : الله الله إنا نهيناكم عن عقوبة الله أن تعرضوا لخلاف أمره واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فسكتت فلم يعظهم، وقالت الطائفة التي لم تعظهم : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا وقالت الطائفة التي وعظتهم : معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون، قال الله : ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ يعني لما تركوا ما وعظوا به ومضوا على الخطيئة قالت الطائفة التي وعظتهم لا والله لا نجا معكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء، فنزلوا قريبا من المدينة فباتوا تحت السماء، فلما أصبح أولياء الله المطيعون لامر الله غدوا لينظروا ما حال أهل [المعصية فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت فدقوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حس أحد فوضعوا سلما على سور] المدينة ثم اصعدوا رجلا منهم فأشرف على المدينة، فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاوون فقال الرجل لأصحابه : يا قوم أرى والله عجبا ! فقالوا : وما ترى؟ قال القوم قردة يتعاوون لهم أذناب [قال] : فكسروا الباب ودخلوا المدينة، قال فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة قال : فقال القوم للقردة : ألم ننهكم؟ قال : فقال أمير المؤمنين : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة، لا ينكرون ولا يغيرون، بل تركوا ما أمروا به [فتفرقوا] وقد قال الله : ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقال الله ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾))[1].

- من تفسيره سورة التوبة

١ - في قوله تعالى ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي

١ - تفسير العياشي ٢/ ٣٤.

اللهَّ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾- الآية / ٣ ، يذكر أنّه (عليه السلام) هو الأَذان والمؤذن في الدنيا والآخرة إذ يقول : ((... وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[١] أنا ذلك المؤذن، وقال : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِّ وَرَسُولِهِ﴾ فأنا ذلكَ الأذان...))[٢].

٢- في قوله تعالى ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾- الآية/ ٦٧ يذكر أنّ قوله ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ يعني ((نسوا الله في دار الدنيا، لم يعلموا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئا فصاروا منسيين من الخير))[٣].

- من تفسيره سورة يونس

١- في قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ - الآية / ٢٦ يذكر أنّ الحسنى ((هي الجنة والزيادة هي الدنيا وإن الله تعالى يكفر بكل حسنة سيئة قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[٤]حتى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثم أعطاهم بكل واحدة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز جل ﴿جَزَاءً مِن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾[٥] وقال ﴿صَالِحًا

١- الآية ٤٤ من سورة الأعراف.

٢- معاني الأخبار / الشيخ الصدوق ٥٩.

٣- التوحيد ٢٥٩.

٤- الآية ١١٤ من سورة هود.

٥- الآية ٣٦ من سورة النبأ.

فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[1] فارغبوا في هذا رحمكم الله واعلموا له وتحاضوا عليه واعملوا يا عباد الله إن المتقين حازوا عاجل الخير واجله شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم أباحهم الله في الدنيا ما كفاهم به وأعناهم قال الله عز وجل ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهّ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا من أفضل ما يسكنون وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون وركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا وهم غدا جيران الله تعالى يتمنون عليه))[3].

٢- سئل عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهَّ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾- الآية / ٦٢ فأجاب بقوله : ((هم قوم أخلصوا لله تعالى في عبادته، ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فعرفوا آجلها حين غر الخلق سواهم بعاجلها، فتركوا ما علموا أنه سيتركهم، وأماتوا منها ما علموا أنه سيميتهم . ثم قال : أيها المعلل نفسه بالدنيا، الراكض على حبائلها، المجتهد في عمارة ما سيخرب منها. ألم تر إلى مصارع آبائك في البلى، ومصارع أبنائك تحت الجنادل والثرى؟ كم مرضت بيديك، وعللت بكفيك تستوصف لهم الأطباء،

١- الآية ٣٧ من سورة سبأ.

٢- الآية ٣٢ من سورة الأعراف

٣- بحار الأنوار: ٧٤/ ٣٨٧.

وتستعتب لهم الأحباء، فلم يغن عنهم غناؤك، ولا ينجع فيهم دواؤك))[1].

وقال أيضاً في وصف أولياء الله ((إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهَّ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَاشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَرَأَوُا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ وَسِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا لَا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَلَا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ)) [2].

على أنه ذكر من المقصود بأولياء الله بقوله : ((تدرون من أولياء الله؟ قالوا : من هم يا أمير المؤمنين؟ فقال : هم نحن وأتباعنا، فمن تبعنا من بعدنا طوبى لنا، وطوبى لهم أفضل من طوبى لنا، قال : يا أمير المؤمنين ما شأن طوبى لهم أفضل من طوبى لنا؟ ألسنا نحن وهم على أمر؟ قال : لا، لأنهم حملوا ما لم تحملوا عليه، وأطاقوا ما لم تطيقوا)) [3].

- من تفسيره سورة هود

١ - في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ﴾ - الآية / ٨ فسّر الأمة المعدودة بأصحاب القائم (عجل الله تعالى فرجه) إذ قال: ((الأمة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر))[4].

---

١ - مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٤/ ١٠١.

٢ - نهج البلاغة، الكلمة ٤٣٢،ص ٦٣٠-٦٣١.

٣- بحار الأنوار ٦٥/ ٣٤.

٤-تفسير القمي / علي بن إبراهيم القمي ١/ ٣٢٣.

٢- في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾- الآية / ١٧ يذكر أن الذي كان على بينة من ربه هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه هو الشاهد له ومنه كما يتضح من الرواية الآتية ((قدم رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾؟ قال : قال : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان على بينة من ربه، وأنا الشاهد له ومنه))[١].

٣- في قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ - الآية / ٤٠ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((إن نوحا (صلى الله عليه) لما فرغ من السفينة وكان ميعاده فيما بينه وبين ربه في إهلاك قومه أن يفور التنور ففار فقالت امرأته: إن التنور قد فار فقام إليه فختمه فقام الماء، وأدخل من أراد أن يدخل وأخرج من أراد أن يخرج، ثم جاء إلى خاتمه فنزعه، يقول الله عز وجل : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[٢]))[٣].

٤- عدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ - الآية / ١١٤ أرجى آية،وقد صرّح بذلك عندما اختبر الناس كما يروي ذلك لنا أبو حمزة الثمالي إذ

١-الأمالي / الشيخ المفيد ١٤٥.

٢-الآيات ١١-١٣من سورة القمر.

٣-الكافي ٨/ ٢٨١.

يقول : ((سمعت أحدهما يقول : إن عليا (عليه السلام) أقبل على الناس فقال: أي آية في كتاب الله أرجى عندكم؟ فقال بعضهم : ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾[1] قال : حسنة وليست إياها فقال بعضهم: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّهِ ﴾ [2]قال : حسنة وليست إياها، وقال بعضهم :﴿الَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[3] قال : حسنة وليست إياها، قال : ثم أحجم الناس فقال : مالكم يا معشر المسلمين؟ قالوا : لا والله ما عندنا شيء قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : أرجى آية في كتاب الله ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾[4] وقرأ الآية كلها وقال - أي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - : يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه، فان أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس . ثم قال : يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم فما ظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي))[5].

١-الآية ٤٨ و١١٦من سورة النساء.

٢- الآية ٥٣ من سورة الزمر.

٣-الآية ١٣٥ من سورة آل عمران .

٤-الآية ١١٤ من سورة هود، وهي أرجى آية.

٢- تفسير العياشي ٢/ ١٦١.

- من تفسيره سورة يوسف

١- وفي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ - الآية / ٢٤ قال (عليه السلام): ((﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ قال: طمعت فيه، فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت، في ناحية البيت، فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أي شئ تصنعين؟ فقالت: استحي أنا من إلهي أن يراني على هذه السوءة فقال يوسف: تستحيين من صنم لا يأكل ولا يشرب ولا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت؟ ثم قال: لا تنالينها مني أبدا وهو البرهان))[١].

٢- وأحياناً يلجأ إلى تفسير القرآن بالقرآن كما في تفسيره (يعصرون) في قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾- الآية / ٤٩ بـ (يمطرون) مستدلاً بقوله تعالى﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾- النبأ / الآية ١٤، إذ يقول المجلسي: ((وروي أن رجلا قرأ على أمير المؤمنين عليه السلام قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾- الآية / ٤٩، قال: ويحك أي شيء يعصرون يعصرون الخمر؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين فكيف؟ فقال: إنما أنزل الله عز وجل﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [٢] أي فيه يمطرون

١- كنز العمال ٢/ ٤٤٠.

٢- الآية ٤٩ من سورة يوسف.

وهو قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾[1]))[2].

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾- الآية/ ١٠٧، سئل (عليه السلام) :كيف تقوم الساعة؟ ((فقال (عليه السلام) : من علامات الساعة يظهر صائح في السماء ونجم في السماء له ذنب في ناحية المغرب ويظهر كوكبان في السماء في المشرق ثم يظهر خيط أبيض في وسط السماء وينزل من السماء عمود من نور ثم ينخسف القمر ثم تطلع الشمس من المغرب فيحرق حرها شجر البراري والجبال ثم تظهر من السماء فتحرق أعداء آل محمد حتى تشوي وجوههم وأبدانهم ثم يظهر كف بلا زند وفيها قلم يكتب في الهواء والناس يسمعون صرير القلم وهو يقول : واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا، فتخرج يومئذ الشمس والقمر وهما منكسفتا النور فتأخذ الناس الصيحة، التاجر في بيعه والمسافر في متاعه والثوب في مسداته والمرأة في غزلها،وإذا كان الرجل بيده طعام فلا يقدر أكله، ويطلع الشمس والقمر وهما أسودا اللون وقد وقعا في زوال خوفا من الله تعالى وهما يقولان : إلهنا وخالقنا وسيدنا لا تعذبنا بعذاب عبادك المشركين وأنت تعلم طاعتنا والجهد فينا وسرعتنا لمضي أمرك وأنت علام الغيوب، فيقول الله تعالى : صدقتما ولكني قضيت في نفسي أني أبدأ وأعيد وأني خلقتكما من نور عزتي فيرجعان إليه فيبرق كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار ويختلطان

١- الآية ١٤ من سورة النبأ.

٢- بحار الأنوار ٨٩/ ٦١.وذكر القمي في تفسيره ١/ ٣٤٦ قال الرجل يا أمير المؤمنين كيف اقرؤها؟ قال إنما نزلت ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي يمطرون بعد سنين المجاعة والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾.

بنور العرش فينفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله تعالى، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون فإنا لله وإنا إليه راجعون. قال الراوي : فبكى علي (عليه السلام) بكاء شديدا حتى بلّ لحيته بالدموع ثم انحدر عن المنبر وقد أشرفت الناس على الهلاك من هول ما سمعوه))[1].

- من تفسيره سورة الرعد

١- وفسّر الزبد في قوله تعالى ﴿... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾ - الآية / ١٧، بقوله ((فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل، ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه : فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع فهي : محل العلم وقراره))[2].

٢- في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ - الآية / ٧ ، فسّر المنذر بالرسول (صلى الله عليه وآله)،ونفسه بالهادي ((ما نزلت من القرآن آية إلا وقد علمت أين نزلت، وفيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت، وفي سهل نزلت، أو في جبل نزلت . قيل : فما نزل فيك؟ فقال : لولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم، نزلت فيّ هذه الآية : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ

١- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ٢/ ١٨٣-١٨٤.

٢- الاحتجاج ١/ ٣٧١.

قَوْمٍ هَادٍ﴾، فرسول الله المنذر، وأنا الهادي إلى ما جاء به))[1].

٣- وكذا في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾- الآية/ ٤٣، قال (عليه السلام) : ((إياي عنى بمن عنده علم الكتاب))[2].

التفسير في نهج البلاغة

المتأمل في نهج البلاغة يجد مؤلفه لم يتحدد بصعيد واحد فلم يكن فارس الحلبة في ساحة واحدة بل إنه صال وجال في ميادين مختلفة لا تجتمع بعضها مع الآخر في الرجل الواحد، لذا يجب دراسة نهج البلاغة لا على أساس كونه قمة بلاغية في الكلام والتخاطب فحسب بل على أساس الدور الكبير والخلّاق الذي يؤديه في حياة المسلمين عامة لما يحويه من مضامين وتوجيهات وإرشادات راقية تعبر عن المحتوى الثقافي الإسلامي الأصيل يقدمه سيد الأوصياء وأمير المؤمنين للمسلمين، ويكون لهذه المضامين والتوجيهات والإرشادات دور عظيم في الحياة الإنسانية المعاصرة فتدفع بالإنسان نحو الرقي والتكامل وفهم فلسفة الوجود الإنساني في الأرض،ويقدم له طريق الخلاص ووسائل التغلب على المشاكل والآلام التي يعاني منها،ومن مضامين نهج البلاغة الشمول والسعة في الأغراض التي يتناولها الإمام (عليه السلام) [3]، ومن ذلك تفسير القرآن الكريم الذي لم تخلُ منه نهج البلاغة ففيها نفحات تفسيرية استقاها أمير المؤمنين (عليه السلام) من ثقافته القرآنية فقد كان ((يخلط القرآن بذاته

١- الأمالي / الشيخ الصدوق ٣٥٠.

٢- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ٢/ ٢٥٧، والاحتجاج ١/ ٢٣٢.

٣- ينظر :الإمام علي - دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج / السيد محمد باقر الحكيم ٢٢١-٢٢٣.

ويحوله إلى نفسه وفي حياته إلى منهج واقعي وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف،إنما تتحول آثاراً وأحداثاً تحول خط سير الحياة فالقرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح : روح المعرفة المنشئة للعمل .إنه لم يجيء ليكون كتاب عقلي ولا كتاب أدب وفن ولا كتاب قصة وتاريخ - وإن كان هذا كله من محتوياته - إنما جاء ليكون منهاج حياة،وهذا ما تدبره الإمام علي (عليه السلام) من القرآن فكان معه فكراً وعملاً))[1]،ولما كان التفسير شقين : نظري وتطبيقي فقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) الدور الأهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الجانب التطبيقي فضلاً عن الجانب النظري فقد ورد عنه الكثير من النفحات التفسيرية لاسيما في نهج البلاغة [2]،ومن هذه النفحات التفسيرية :

قوله (عليه السلام) : (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ فَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3] وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُخْتَبَرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَيَكْرَهُ الْإِنَاثَ وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ وَيَكْرَهُ انْثِلَامَ الْحَالِ . قال الرضي : وهذا من غريب ما سمع منه في التفسير [4].

١- الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة / قاسم حبيب جابر٣٧.

٢- ينظر: الأثر الفكري في تمييز رجال الحديث من خلال نهج البلاغة،بحث،حسن كاظم أسد، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول،ج٤، ص٢٤٩

٣- سورة الأنفال / الآية ٢٨.

٤- نهج البلاغة،الحكمة ٩٣، ص ٥٦٦.

وقوله حين تلا قوله تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[1] واصفاً منازل الموت،ومصوراً أحوال الآخرة : ((يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وَسُوَقاً سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً لَا يُحْضَرُونَ وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ

١- سورة التكاثر / الآيتان ١،٢.

مِمَّا خَافُوا وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَرَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ فَقَائِلٌ يَقُولُ

هُوَ لِمَا بِهِ وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحِ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا))[1].

وقوله عند تلاوته قوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2] : ((إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ للهِ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا

١- نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١، ص ٣٩١-٣٩٦.

٢- الآيتان ٣٦-٣٧ من سورة النور.

يَسْمَعُونَ فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الِاسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى وَمَصَابِيحَ دُجًى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ))[1].

وقوله (عليه السلام) عند تلاوته قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[2] قوله ((أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَأَقْطَعُ مُعْتَرٍّ مَعْذِرَةً لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ وَكُنْ للهِ مُطِيعاً وَبِذِكْرِهِ آنِساً وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ

١- نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٢، ص ٣٩٧-٣٩٩.

٢- الآية ٦ من سورة الانفطار.

وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ وَحَقّاً أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلّاً وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ))[1].

وقد يستنبط من الآيات القرآنية مجموعة من المفاهيم من ذلك الاستغفار الذي يكون سبباً للرزق والرحمة كما في قوله ((وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّماءَ

١ - نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٣، ص ٣٩٩-٤٠٢.

عَلَيْكُمْ مِدْراراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾[1] فَرَحِمَ الله امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وبَادَرَ مَنِيَّتَهُ))[2]

ومثله في قوله مستشهداً بآيتين: الأولى في النصر،والثانية في الإنفاق ((... فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ الله سُبْحَانَهُ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ قَدامَكُمْ﴾[3]، وَقَالَ تَعَالَىَ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[4]))[5]،وكذا في استشهاده بالاستنصار، والاستقراض،والابتلاء مذيلًا نهاية الخطبة بآية الفضل في قوله ((فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ،وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ ﴿يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[6]﴾فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً﴿ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[7] أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ

١- نوح/ الآيات ١٠-١٢.

٢- نهج البلاغة،الخطبة ١٤٣،ص ٢٢٩.

٣- سورة محمد / الآية ٧.

٤ - سورة الحديد/ الآية ١١

٥- نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣،ص ٣١٠.

٦- الآية ٧ من سورة هود، والآية ٢ من سورة الملك.

٧- الآية ٢١ من سورة الحديد، والآية ٤ من سورة الجمعة.

وَالله الْمُسْتَعانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [١]))[٢]. ومن مميزات أسلوب الإمام الأخرى في تفسير آيات الذكر الحكيم أنه يميل إلى ما يسميه البلاغيون : التذييل،وهو أن يختتم كلامه بآية من القرآن الكريم،وهذا كثير في كلامه إمعاناً في التأثير ولاسيما في الخطب التي تدعو إلى الوعظ والنصح والدعوة إلى القتال والتنفير من الدنيا والتذكير بالآخرة والدعاء والترغيب والترهيب أما في الخطب التي تدعو إلى التوحيد وخلق الإنسان والحيوان والسماء والأرض[٣].

وفي نهج البلاغة تفسيرات موجزة لألفاظ قرآنية يستشهد بها الإمام في حكمه، ومن ذلك :

سُئِلَ (عليه السلام) عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً ﴾ فَقَالَ هِيَ الْقَنَاعَةُ[٤].

قَالَ (عليه السلام) : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ﴾ الْعَدْلُ الْإِنْصَافُ وَالْإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ.[٥]

قوله : الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ الله سُبْحَانَهُ : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ﴾[٦].

١- الآية هي : ﴿حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ - آل عمران/ ١٧٣).

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣،ص ٣١٠.

٣- ينظر : الأثر القرآني في نهج البلاغة - دراسة في الشكل والمضمون / عباس علي حسين الفحام٣٥٥.

٤- نهج البلاغة،الحكمة ٢٢٩،ص٥٩١، والآية هي من سورة النحل / آية ٩٧.

٥- المصدر نفسه، الحكمة٢٣١،ص ٥٩١، والآية هي من سورة النحل / آية ٧٦.

٦- نهج البلاغة، الحكمة٢٣١،ص ٥٩١. والآية هي من سورة الحديد / آية٢٣.

علي (عليه السلام) والقرآن

المطالع لسيرة علي (عليه السلام) يجده والقرآن صنوين لم يفترقا ولن يفترقا فعلي قد سار في خط القرآن،ولم يشذ عنه يوماً إذ كان يحيي القرآن بقلبه ودمه قبل أن ينطق بآياته بألفاظ وتعابير فكان القرآن فكره ونطقه وعمله وتعليمه وحكمه وإرشاده فهو ترجمان القرآن ولسانه الناطق والسبيل الواضح إلى هداه وبصائره، وكانت حياته كلها عطاء زاخر في مجال القرآن دون أن يحده حد المسجد أو كرسي الحكم أو السوق أو البيت ... بل وحتى ساحات الحرب والقتال فلم يبخل على الناس من الاستنارة بعلمه القرآني،ولم يكتم الناس فوائده ومعارفه على أنّ القرآن كان المحور الثابت في حركته على الرغم من تفاوت أدواره طوال مدة حياته المباركة ففي عبادته كان القرآن خير أنيس يرتل آياته،وفي ساحات الجهاد كان القرآن خير ناصر ينشد آياته،وفي عرصات الحكم والسوق كان أيضاً شاخصاً أمامه دائماً دون أن يغفل عنه طرفة عين [1] إذ يروى أنه لما سار إلى صفين، ثم مضى نحو ساباط، حتى انتهى إلى مدينة بهر سير ((وإذا رجل من أصحابه ينظر إلى آثار كسرى، وهو يتمثل بقول ابن يعفور التميمي :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كـــانوا على ميعـــادِ

فقال عليه السلام : أفلا قلتَ : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [2]))[3].

١- ينظر : الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان ١٨٣-١٨٥.

٢- الآيات ٢٥-٢٨ من سورة الدخان.

٣- السرائر / ابن إدريس الحلي ١/ ٤٨٥.

ومن استدلالاته القرآنية أيضاً في رواية مفادها أن الربيع بن زياد الحارثي شكا إليه أخاه عاصماً قائلاً : ((يا أمير المؤمنين ألا أشكوا إليك عاصم بن زياد أخي قال ما له؟ قال : لبس العباء،وترك الملاء،وغم أهله،وحزن ولده فقال علي : ادعوا لي عاصما فلما أتاه عبس في وجهه وقال : ويحك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره ما أخذت منها لأنت أهون على الله من ذلك أو ما سمعته يقول ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[1] ثم يقول ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[2] وقال﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[3] أما والله إن ابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال وقد سمعتم الله يقول﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4] وقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[5] إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [6]،وقال ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[7]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض نسائه (ما لي أراك شعثاء مرهاء سلتاء[8])[9] قال عاصم : فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب قال إن الله

١- الآية ١٩ من سورة الرحمن.

٢-الآية ٢٢ من سورة الرحمن.

٣- الآية ١٣ من سورة فاطر.

٤- الآية ١١ من سورة الضحى .

٥- الآية ٣٣ من سورة الأعراف.

٦- الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

٧- الآية ٥١ من سورة المؤمنون.

٨ -شعثاء: اتساخ الرأس (ينظر المعجم الوسيط مادة شعث، ٤٨٤)، مرهاء: امرأة لا تكتحل (ينظر المخصص/ ابن سيده: ١/ ١٠٠)، سلتاء: امرأة لا تختضب (ينظر المخصص: ٥/ ٦٠).

٩- ينظر : أعيان الشيعة ٦/ ٤٥٨ . شعثاء اتساخ الرأس: ينظر المعجم الوسيط

تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة))[1].

وهو القائل : ((أنا القرآن الناطق))[2]، وكذا القائل ((إن الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته))[3] ومصداق ذلك نجده في حديث الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))[4] فكلامه ذو مسحة قرآنية أي أنه قبس من أشعة القرآن بل هو خريج مدرسة القرآن لغةً وأسلوباً ودرايةً وروايةً فقد حاكى القرآن الكريم،وجاراه،وأفاد منه في استعمال الكلمات القرآنية،ووضعها موضعاً جديداً في استعمال علوي بليغ فالبلاغة القرآنية تتجسد على لسان علي،ولا غرابة في ذلك فهو سيّد القراء،وأوّل الحفاظ لكتاب الله لذا فصلة الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن صلة وثيقة فقد اختاره الرسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) كاتباً له،وهو الذي كان يصغي ويسمع ويحفظ،ولأنه أول الفتيان إسلاماً، ولقرابته من النبي (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، فهو ابن عمه وزوج ابنته، وهو أخوه في حادثة التآخي بين المسلمين فقد وعى القرآن أكثر من غيره وقبل غيره من الصحابة بدعاء النبي له بالتسديد فكان هو الأذن الواعية [5] إذ لما نزل قوله تعالى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ - الحاقة / ١٢، قال النبي صلى الله عليه وآله : سالت الله أن يجعلها أذنك يا علي[6].

١- بحار الأنوار ٤٢/ ١٤٧.

٢- شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي ٧/ ٥٩٥.

٣- نهج البلاغة، الخطبة ١٢٢، ص ٢٠٦.

٤- مناقب أهل البيت / المولى حيدر الشيرواني ١٧٤.

٥- ينظر : الإمام علي القرآن الناطق / نعمة هادي الساعدي ١٠-١٤.

٦- ينظر : مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) / محمد بن سليمان الكوفي ١/ ١٤٢،وبحار

ولما كانت مصادر الوعي ثلاثة هي [١]:

١- مصادر أوعية للوعي مثل العقل،والفؤاد، والصدر، والقلب،والفطرة.
٢- مصادر التنفيذ : الإرادة،والعزم.
٣- المحكمة الداخلية في نفس الإنسان للحل والحسم وفصل القضايا،وهو ما يسمى بالضمير.

وهذه المصادر الثلاثة تحتاج إلى غذاء متصل دائم مثلما يحتاج الجسم إلى الغذاء لكي تمد الإنسان في حركته إلى الله بما يمكنه من السير بنور وعزم،وهذا الغذاء هو التوجيه والإمداد الذي يمكن هذه الأوعية من مواصلة عملها من التلقي والعطاء،ومن دون هذا الغذاء تتعطل الأوعية،وتفقد القدرة على أداء دورها في حياة الإنسان، والقرآن الكريم هو ذلك الغذاء الرباني للإنسان،وهو النور والهدى والبصيرة والعزم واليقين الذي يحتاجه في حركته إلى الله تعالى[٢] فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله ((كِتَابُ اللهِّ تُبْصِرُونَ بِهِ وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللهِّ وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِّ))[٣].

إنّ ثمة وشائج وروابط بين أمير المؤمنين (عليه السلام) والقرآن الكريم فهو ربيب القرآن، وقد نزلت فيه الكثير من الآيات الكريمة،وأنه دوّن القرآن الكريم في عصر مبكر من تاريخ الرسالة الإسلامية،وهذا ما جعله يحيط إحاطة تامة بالقرآن[٤]

الأنوار ٣٥/ ٣٢٨.

١- ينظر : وعي القرآن / الشيخ محمد مهدي الآصفي ١٧.

٢- ينظر : المصدر نفسه ١٧-١٨.

٣- نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣، ص ٢٢١

٤- ينظر : الإمام علي بن أبي طالب روح الإسلام الخالد / د. حسن عيسى الحكيم ٦٦.

فتلازم القرآن والإمام يحكي عميق ارتباطهما،ويكشف عن دقة علاقتهما بحيث إذا كان للقرآن ظل لا يفارقه فهو الإمام (عليه السلام) أي أنهما يمثلان حقيقة واحدة، ويتبعان نهجاً واحداً،ويقصدان هدفاً واحداً، لذا يعد قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : (علي مع القرآن،والقرآن مع علي) خصيصة خصّه بها الرسول الأكرم،ولم يكن قد خصّ أحداً من صحابته بل هو وسام قلّده النبي إياه في مرات عديدة ليبصر الناس منزلة الإمام ومكانته من القرآن[1]فعلي والقرآن يسيران في طريق واحد،ويدعوان إلى مبدأ واحد وهدف واحد فهو يعرف القرآن وفنونه وعلومه وأحكامه وفضائله ومزاياه، والقرآن يجلب الانتباه إلى شخصية علي (عليه السلام) ومكارمه ومحاسنه وخصائصه،وينوّه عن مواقفه ومواطنه وتضحياته في سبيل الهدف الذي أنزل من أجله القرآن[2]فهو ابن القرآن وهو كالقرآن كما وصفه الشيخ الدكتور أحمد الوائلي في قصيدته غرس أبي تراب إذ يقول [3]:

إنه ابن القـــرآن والابن كالأبِ وإنْ لـجّ حاقـــــدٌ مـأجورُ

قال (عليه السلام) : ((والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا))[4]، ويقول في علمه بالقرآن ((سلوني

١- ينظر : الإمام علي القرآن الناطق / طالب خان ٧٢.

٢- الإمام علي (عليه السلام) من المهد إلى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ٨٩.

٣- لم أجدها في ديوانه؛ لأنها لم تنشر فيه بل نشرت بعنوان (قصائد غير منشورة) على الأنترنت، موقع الطرف، مجلة الفكر الجديد،ع ٩،شهر صفر ١٤١٥هـ،ووجدتها أيضاً في دراسة لـ (محمد سعيد الطريحي) عن الشيخ الوائلي عنوانها (أمير المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي)، ص ١٤٩،والبيت الحدي عشر من القصيدة التي عنوانها(إيحاءات نهج البلاغة)، ومطلعها :

في مجالي نهج البلاغة حورُ شهد الأفق إنهنّ بدورُ

٤- مناقب آل أبي طالب ١/ ٣٢٢.

عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل نزلت أم في جبل))[1]،ويروي ابن عباس أنه تعلّم التفسير من الإمام (عليه السلام)،وأنه (عليه السلام) علم الظاهر والباطن إذ يقول : ((جل ما تعلمت من التفسير من علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود، إن القرآن انزل على سبعة أحرف، ما منها إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عليه السلام علم الظاهر والباطن))[2]. أما عن علمه بالتأويل ووقت النزول وموارده وكل ما يتعلق بالآيات من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمكي والمدني وغير ذلك إذ فيقول (عليه السلام): ((سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضريها، ناسخها ومنسوخها،ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم))[3] . وعن علمه يقول ابن عباس (رض) : ((والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر))[4]، وقال أيضاً: ((ما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في علم علي رضي الله عنه إلا كقطرة في سبعة أبحر))[5].

لذا يعدّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أعلم الناس بالقرآن الكريم بحلاله وحرامه،ومحكمه وتأويله ومتشابهه فقد كان يسأل رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) عن كل آية نزلتْ عليه عن ظاهرها وباطنها حتى كان مضرب المثل في تفسير القرآن الكريم وأحكامه إذ إنه كان سريع البديهة في إصدار الأحكام،ولم يتردد أبداً في إصدار

١- الغدير ٢/ ٤٤.

٢- وسائل الشيعة / الحر العاملي ١/ ٦٢.

٣- بحار الأنوار ٤٠/ ١٥٧.

٤- الأمالي / الشيخ الصدوق ٤٣٣.

٥- الغدير ٣/ ٩٩.

حكم فلم يفت فتوى تخالف القرآن الكريم كما لم يصدر حكماً يخالف القرآن الكريم حتى بهر جميع مَن كان يحوط به، لأنه بحق القرآن الناطق[1] فلا تجد شخصاً يوازي الإمام (عليه السلام)،لأنه جمع في شخصيته كل مستلم علم التفسير ناهيك عما تمتع به من عناية خاصة من لدن رسول الله حيث كان يُرفع إليه في كل يوم علماً،ويخبره بما نزل من الوحي مبيناً له تفسيره فقد عاش أيام الوحي بشخصه،وشاهد أحداث الرسالة بعينيه فعلى هذا كان أقرب من غيره إلى القرآن حتى أنه لم يخف عليه منه شيء،ولم يتعذر عليه بيان مقصوده ومبتغاه[2].

إنّ أول من أسس لعلوم القرآن هو أمير المؤمنين (عليه السلام)،وأول مصحف جُمع فيه القرآن هو مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام)،وفي ذلك يقول حسن الصدر ((لابد من التنبيه على تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، في تقسيم أنواع علوم القرآن فإنه أملى ستين نوعا من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثالا يخصه، وذلك في كتاب نرويه عنه من عدة طرق، موجود بأيدينا إلى اليوم، وهو الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن . وأول مصحف جمع فيه القرآن على ترتيب النزول بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مصحف أمير المؤمنين علي عليه السلام، والروايات في ذلك من طريق أهل البيت متواترة))[3]. على أنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو النمير العذب للعلوم الإسلامية فأحاط به أصحابه الأجلاء يقبسون منه سناء العلم ويستضيئون بهداه فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الرجل الأول الذي أحرز قصب السبق في مضمار تدوين القرآن وتفسيره وبيان علومه وقد برع في هذا المجال، وكان للأئمة من أهل البيت

١- الغدير، ٣/ ٩٩ .

٢- ينظر : الإمام علي عبقري هذه الأمة / علي عبد المحسن عجاج٨٧.

٣- الشيعة وفنون الإسلام / حسن الصدر٢٥.

(عليهم السلام) وأصحابهم عناية خاصة بالقرآن العظيم وعلومه بعد أن كان القرآن يمثل الهدى الإلهي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وبعد أن كان القرآن بحق هو المفجر للعلوم البشرية بل هو عماد العلوم الإسلامية وأساسها[1].

والروايات التي تدلل على علمه كثيرة، ولنأخذ هذه الرواية التي يرويها أبو جعفر عليه السلام قال : ((حدثني عبد الله بن العباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وكان بدرياً أحديا شجريا، وممن يحظ من أصحاب رسول الله صلي الله عليه واله في مودة أمير المؤمنين عليه السلام قالوا : بينا رسول الله صلي الله عليه وآله في مسجده في رهط من أصحابه فيهم أبو بكر وأبو عبيده وعمر وعثمان وعبد الرحمن ورجلان من قراء الصحابة من المهاجرين عبد الله بن أم عبد ومن الأنصار أبي بن كعب وكانا بدريين فقرا عبد الله من السورة التي يذكر فيها لقمان حتى أتي على هذه الآية﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[2]الآية وقرأ أبي من السورة التي يذكر فيها إبراهيم عليه السلام ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[3]قالوا : قال رسول الله صلي الله عليه واله : أيام الله نعماوه وبلاوه ومثلاته سبحانه ثم أقبل صلي الله عليه واله على من شهده من أصحابه فقال : إني لا تخولكم بالموعظة تخولا مخافة السامة عليكم، وقد أوحي إليّ ربي جل وتعالي أن أذكركم بأنعم، وأنذركم بما أفيض عليكم من كتابه، وتلا ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ﴾ الآية ثم قال لهم : قولوا ألان قولكم ما أول نعمه رغبكم الله فيها وبلاكم بها؟ فخاض القوم جميعا فذكروا نعم الله التي أنعم عليهم وأحسن إليهم بها من المعاش والرياش والذرية والأزواج إلى ساير ما بلاهم الله عز وجل به من أنعمه الظاهرة، فلما أمسك القوم أقبل رسول الله صلى

١- ينظر : علوم القرآن / الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ٥ .

٢- الآية ٢٠ من سورة لقمان .

٣- الآية ٥ من سورة إبراهيم .

الله عليه وآله على علي عليه السلام فقال : يا أبا الحسن قل ! فقد قال أصحابك، فقال: وكيف لي بالقول فداك أبي وأمي؟ وإنما هدانا الله بك؟ قال : ومع ذلك فهات قل ! ما أول نعمة بلاك الله عز وجل وأنعم عليك بها؟ قال : أن خلقني جل ثناؤه ولم أك شيئا مذكورا قال : صدقت فما الثانية؟ قال : أن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حيا لا مواتا، قال : صدقت فما الثالثة؟ قال : أن أنشأني فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب قال : صدقت فما الرابعة؟ قال : أن جعلني متفكرا واعيا لا بلها ساهيا قال : صدقت فما الخامسة؟ قال : أن جعل لي شواعر أدرك ما ابتغيت بها وجعل لي سراجا منيرا، قال : صدقت فما السادسة؟ قال : أن هداني لدينه ولم يضلني عن سبيله، قال : صدقت فما السابعة؟ قال : أن جعل لي مردا في حياة لا انقطاع لها، قال : صدقت فما الثامنة؟ قال : أن جعلني ملكا مالكا لا مملوكا قال : صدقت فما التاسعة؟ قال : أن سخر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، قال : صدقت فما العاشرة؟ قال: أن جعلنا سبحانه ذكرانا قواما على حلائلنا لا إناثا، قال : صدقت فما بعد هذا؟ قال: كثرت نعم الله يا نبي الله فطابت، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لتهنك الحكمة ليهنك العلم يا أبا الحسن فأنت وارث علمي والمبين لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي، من أحبك لدينك وأخذ بسبيلك فهو ممن هدي إلى صراط مستقيم ومن رغب عن هداك وأبغضك وتخلاك لقي الله يوم القيامة لا خلاق له))[1].

١- بحار الأنوار ٦٧/ ٢٠-٢١.

الفصل الثاني

الدعاء عند أمير المؤمنين (عليه السلام)
أدعية نهج البلاغة أنموذجاً

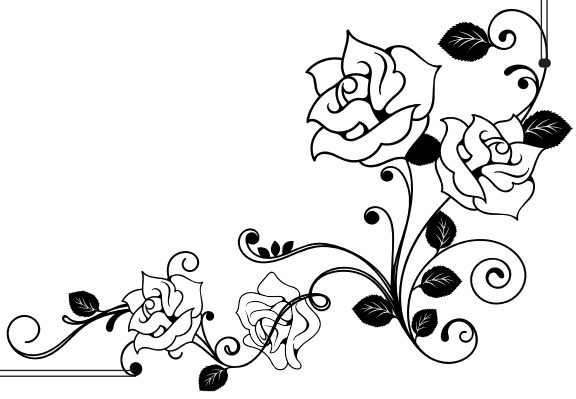

المدخل : الدعاء ونهج البلاغة

يعرّف الدعاء بأنه والدعاء ممارسة عبادية لها حجمها الكبير في التشريع،ولها شرائطها وآدابها وكيفياتها، وهو ((تعبير بالغ الوضوح عن عرفان المؤمن بربه، وبأسماء ربه الحسنى،ووعي عميق بضعف البشر،وإحساس شديد بأبعاد نقصه،ومراكز ذله،ومدى حاجته إلى التكامل والسمو))[1]، وهو العبادة التي قال الله عز وجل فيها[2]: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - غافر / ٦٠.

والدعاء وسيلة من وسائل الإسلام في تربية الإنسان يمثل علاجاً ناجحاً في شفاء الداعي من أمراض النفس،ويكون حائلاً دون حدوث الكبت السلبي ولأضراره البالغة فهو يتيح للنفس الإنسانية أن تعبر عن مشاعرها الدفينة التي لا تستطيع أن تعبر عنها للناس لخشيتها من ردود فعلهم أحياناً،ومن السقوط في أعينهم أحياناً أخرى فمن خلال الدعاء يُفسَح لها المجال لتعبّر ما تشاء وما تحب إلى الرب الكريم الرؤوف الرحمن الرحيم الذي تأمنه وتطمئن إلى ستره وعطفه ومحبته وإحسانه ولطفه لاسيما وهو العالم بشأنها وحقيقتها في ظاهرها وباطنها حيث تخفى على الخلائق

١- التشريع الإسلامي - مناهجه ومقاصده / آية الله السيد محمد تقي المدرسي ٤/ ٢٩١.

٢- ينظر : الكافي ٢/ ٤٦٧.

أجمعين[1] فعندما نشعر بأن الكون لا يحتوينا، وبأن مساحات العالم ضائعة في نفوسنا تنطق خلجاتنا بأنّ هناك من سينتشلنا من الضياع، ويشدنا إلى السماء بوساطة حبل ممدود بين العبد وربه يقترب باقتراب العبد من ربه، ويبتعد بابتعاده عنه إنه الدعاء الذي يشكل مع الصلاة صنوان، وهما من أهم الوسائل مفاتيح الاستجابة لذا يعد الدعاء من العبادات الأساسية والسامية لدى المسلمين، ومن خلاله يكون الحوار متصلاً بين القلب وخالقه، ولعل فطرة الله التي فطر الناس عليها هي التي تقودنا إلى الدعاء لأجل سكينة القلب، وطمأنينة النفس، وصفاء الروح فهو حبل الرجاء بل هو الأمان، والرحمة، والغفران، وهو بمثابة العشق الإلهي عند مناجاة الخالق[2].

ويمثل الدعاء جانباً مهماً من آداب العربية، قد أغفل بعض الدارسين الإشارة إلى بلاغته على الرغم من أنه نثر فني رائع، وأسلوب ناصع من أجناس الكلام المنثور، ونمط بديع من أفانين التعبير، وطريقة بارعة من أنواع البيان، وسلك معجب من فنون الكلام[3].

وكذا يمثل الدعاء شكلاً أدبياً يقوم من حيث المظهر الخارجي على عنصر المحاورة الانفرادية إذ يتوجه الداعي بكلام مسموع إلى الله تعالى، وأحياناً بكلام صامت، ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر وجداني يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه، ومن حيث المضمون ينطوي على عنصري : الذاتية والموضوعية فالذاتية تتصل بالحاجات الفردية للداعي كطلب المغفرة، والشفاء من

١- ينظر : أبواب الرحمة - دراسة في آفاق الدعاء ودوره في تربية الفرد والمجتمع الصالح / نبيل شعبان ١١٠.

٢- ينظر : مقال (أثر الدعاء في النفس - كريم شلال، جريدة صوت المعلم، ع٣٢، س٨، ع٣٢، ٢٠١١، ص٤.

٣- ينظر : الصحيفة السجادية، مقال د.حسين علي محفوظ، مجلة البلاغ، الكاظمية، السنة الأولى، ع٦.

المرض وغيرهما،والموضوعية تشمل كل ما هو غير ذاتي،وهو نمطان[١]:

١- عبادي : وهو ما يتصل بتمجيد الله تعالى .

٢- اجتماعي : وهو ما يتصل بحاجات الآخرين مثل طلب النصر على الأعداء، واستسقاء المطر،والدعاء للآخرين،وغير ذلك.

ويعد أسلوباً إنشائياً قائماً بذاته،ويقترن بصيغتين بلاغيتين ها الأمر والنهي [٢] كما،ولا يخلو من الحث عليه كتاب إلهي،فالقرآن الكريم رغّب في الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾- البقرة / ١٨٦ ، والدعاء هو الوسيلة بين العبد وخالقه،واتصال من عالم الملك بعالم الملكوت،وهو شعور باطني في الإنسان بالصلة والارتباط بعالم لا مبدأ له ولا نهاية،ولا حد ولا غاية لسعة رحمته وقدرته وإحاطته بجميع ما سواه[٣]،والدعاء لا يحول الضعف قوة فحسب بل يزيد القوة قوة،ويمنح الخير بقاء وديمومة في بناء الحياة الفردية والاجتماعية،وهو ليس وسيلة إلى تلبية الحاجات فحسب بل هو محبة تتجلى بخلو المحب بحبيبه فما لا يُدرَك بالمنطق والعلم يُدرَك بمحبة المحب للمحبوب[٤].

والدعاء هو إقبال العبد على ربه،والإقبال عليه روح العبادة،والعبادة هي

١- ينظر : تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني/ ٢٣٤.

٢- ينظر : أدب الدعاء في نهج البلاغة - دراسة دلالية، د.هناء عبد الرضا رحيم،ود. مرتضى عباس فالح، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول - نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان - ،ج ٤،ص ١٥٩.

٣- ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن/ السيد عبد الأعلى السبزواري ٣/ ٦٧-٧١.

٤- ينظر : الدعاء / د. علي شريعتي ٨-١٦،٩-١٧.

الغاية من خلق الإنسان[1]؛ لقوله تعالى ﴿ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ - الذاريات/ ٥٦) .

ومن آثار الدعاء أنه يمحو حالات اليأس والقنوط والهجران والوحدة والغربة والاضطراب كما يخفف من وطأة كل ذلك ومن حدتها،ويدعو إلى الهدوء والسكينة

والطمأنينة التي يكتسبها الداعي مما يشعره بالسرور والغبطة والفرح والانقطاع إلى الله،ويقوي إيمانه ويوثق صلته بالله تعالى[2].

ويبدو أن طائفة كبيرة من كتب الشيعة منها كتب الأدعية قد أقدم على إحراقها طغرل بيك،وهو أوّل ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة ٤٤٧هـ، وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها وزير بهاء الدولة البويهي أبو نصر سابور بن أردشير،وكانت هذه المكتبة يومذاك من دور العلم المهمة في بغداد، وقد نافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار بيد أنّ ما وصلنا من الأدعية بوساطة كتب اُستخرجتْ من الأصول قبل التحريق مثل كتاب الدعاء للشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)،وكامل الزيارات لابن قولويه (ت ٣٦٨هـ)،وكتاب الدعاء والمزار للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)،وكتاب المزار للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)،وكتاب روضة العابدين للكراجي (ت ٤٩٩هـ)،ومصباح المتهجد للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)[3].

١- ينظر : الدعاء عند أهل البيت / محمد مهدي الآصفي ١٣.

٢- ينظر : فلسفة المناجاة والتضرع والدعاء / محمد حسين المختاري المازنداني ٤٥.

٣- ينظر : الدعاء عند أهل البيت ٢٧١-٢٧٣.

ولما كان أهل البيت (عليهم السلام) سادات المؤمنين وعنوان المتقين ومؤدبي البشرية،وقد ارتضعوا من ثدي الرسالة،ودرجوا في بيت الوحي والتنزيل والنبوة ومنهم نتعلّم الآداب والأخلاق والفضيلة فقد اختطوا لنا منهجاً واضحاً وطريقاً لاحباً في أدب الدعاء والمناجاة،وعلّمونا أسلوب التخاطب والتأدب في حضرته المقدسة[٤].

ولعل غاية أهل البيت (عليهم السلام) من تلك المحاولة أن تجعل من الدعاء مدرسة تربط الإنسان بالحياة وتربط الحياة بالله مؤكدة المفهوم الإسلامي الذي لا يجعل من حياة الإنسان معنى مادياً بعيداً عن الروح بل يوجد تمازجاً حياً بين الروح والمادة في وحدة رائعة تنسجم مع اتصال الجانب الروحي بالجانب المادي في كيان الإنسان[٥].

ولعل وفرة الأدعية في آثار أهل البيت تدل على مدى اضطهاد الأئمة (عليهم السلام)،واستيائهم من تلك العصور،ومن تلك الحكومات التي فسدتْ وأفسدتْ وضلتْ وأضلتْ،وهذه الأدعية كانتْ ضمن تركة النائب الثاني للإمام المهدي الشيخ محمد بن عثمان[٦]،والمتفحص في تراث الإمام علي (عليه السلام) يجد كمًا هائلًا من الأدعية في نهج البلاغة،وفي كتب الأدعية المجموعة.

وقد عني الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالدعاء عناية بالغة، ذلك لما يترتب عليه من آثار تعود لصالح الداعي في الدنيا والآخرة، فهو من أنجع

٤ - ينظر: منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه / صباح علي البياتي ٣٨-٣٩.

٥- ينظر : في رحاب الدعاء / السيد محمد حسين فضل الله ١٦.

٦- ينظر : الإمام الجواد من المهد اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ٤٥٥.

الوسائل وأعمقها في تهذيب النفوس، وهو مفتاح الرحمة ونجاح الحاجة، ولا يدرك ما عند الله تعالى إلاّ بالدعاء والابتهال،وهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى،وكذا مخ العبادة وجوهرها وأفضلها،وهو سلاح الأنبياء والمؤمنين،ومفتاح الرحمة والنجاح والجنان والفلاح، وعمود الدين،وشفاء من كل داء،ودافع للبلاء،وراد للقضاء[1].

قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ - الفرقان/ ٧٧، وقد حفلت كتب الدعاء الكثيرة بتراث غزير من أدعية أهل البيت عليهم السلام، التي تعدّ صفحة مشرقة من صفحات التراث الإنساني، وذخيرة فذّة من ذخائر المسلمين، فهي من حيث الصياغة والبلاغة آية من آيات الأدب الرفيع، ومن حيث المضمون فقد أودع الأئمة عليهم السلام في أدعيتهم خلاصة المعارف الدينية، وهي من أرقى المناهل في الإلهيات والأخلاق، وهي وسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وبيان أدقّ أسرار التوحيد والنبوة والمعاد وغيرها من المضامين التي يترتب عليها آثار واضحة في تعليم الناس روحية الدين والزهد والأخلاق،وقد تحول الدعاء إلى مدرسة كاملة لثقافة أهل البيت تدرس فيه العقائد،والأخلاق والمفاهيم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية،والأدب العالي فضلاً عن التزكية والتربية العالية،وقد أسس هذا الأسلوب أهل البيت (عليهم السلام) لاسيما أمير المؤمنين في أدعيته ومناجاته المشهورة،وقد أفاد من هذا الأسلوب حفيده الإمام زين العابدين (عليه السلام) في زبور آل محمد الموسوم (الصحيفة السجادية) فكان نتاجه واسعاً ومتميّزاً وتأثيره ودوره في المنهج الثقافي كبيراً فكان بحق أنجح الأساليب في معالجة التدهور الثقافي والأخلاقي في المجتمع الإسلامي فضلاً عن التغلب على الظروف السياسية الصعبة التي واجهها الإمام بعد استشهاد أبيه الحسين (عليه السلام)[2].

---

١ - ينظر : منهج الدعاء عند أهل البيت ١٤-١٨،فلسفة الابتلاء / الشيخ حافظ حداد ٨٥.

٢ - ينظر : دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: السيد محمد باقر الحكيم/ ١/ ١٣٢-١٣٣.

على أن فكرة الدعاء لا تعني إلا الأسلوب الاتكالي الذي يلجأ الإنسان فيه إلى الله في أموره ومشاكله دون أن يتقدم خطوة عملية في محاولته الذاتية في السعي لحل مشاكله فليس من المفترض في الدعاء أن يتولى الله قضاء حاجات الإنسان بشكل مباشر مع قدرة الإنسان على مباشرة هذه الحاجات بنفسه وامتناعه عن الحركة منتظراً المعجزة السماوية؛ لأن الدين لا يؤمن بالمعجزة في حياة الإنسان العامة، وإنما يؤمن بقانون السببية الذي أودعه الله في الأشياء فجعل لكل شيء سبباً سواء في ذلك الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر والنصر والهزيمة والربح والخسارة ... الخ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بهذه الأسباب والاعتماد عليه بعد استكمال ذلك كله[1] فليس صحيحاً أن نفهم الدعاء فهمًا منفصلًا عن سنن الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى قد سنّ لعباده سنناً في الكون في شؤونهم وحياتهم فلا يصح أن يهملوا هذه السنن في شؤونهم وحياتهم فلا يصح أن يكتفي الفلاح عن حرث الأرض وسقيها وتشذيبها من الأعشاب الزائدة ومكافحة الأمراض النباتية من مزرعته بالدعاء،ولا الدعاء وحده يغني عن الحرث والسقي والتشذيب فليس الدعاء بديلاً عن هذه السنن،ولا يغني سلوك هذه السنن الإنسان عن الدعاء فكلاهما متلازمان فكما لا يكون الدعاء بديلاً عن العمل كذلك لا يكون العمل بديلاً عن الدعاء؛ لأن مفاتيح هذا الكون بيد الله تعالى، والله يرزق عباده بالدعاء ما لا يقدرون عليه بالعمل،ويوفق عباده بالدعاء للأسباب الطبيعية ما لا يقدرون عليه بالعمل،وليس تمكين الله تعالى للإنسان من الأسباب الطبيعية للرزق أن يستغني الإنسان بالتعامل مع الأسباب الطبيعية من الدعاء والسؤال والطلب من الله تعالى فإن الله تعالى هو الباسط القابض،المعطي المانع،النافع الضار، المحيي المهلك، المعز المذل، الرافع الواضع[2].

١- ينظر : في رحاب الدعاء ١٨-١٩.

٢- ينظر : الدعاء عند أهل البيت ٣٣-٣٤.

ويرى المشككون بالدعاء والجاهلون حقيقته وآثاره النفسية والاجتماعية بأنّ الدعاء عامل مخدّر؛ لأنه يصرف الناس عن الفعالية والنشاط وتطوير الحياة،ويرون أيضاً أنه تدخل في شؤون الله،والله يفعل ما يريد،ولعل هذه الرؤية التشكيكية نابعة من كونهم يجهلون الآثار التربوية والنفسية والاجتماعية للدعاء فالإنسان بحاجة إلى الملجأ الذي يلوذ به في الشدائد،والدعاء يضيء نور الأمل في نفس الإنسان فمن يبتعد عن الدعاء يواجه صدمات عنيفة نفسية واجتماعية على أن الذين يصفون الدعاء بأنه بأنه تخديري لم يفهموا معنى الدعاء؛ لأنّ الدعاء لا يعني ترك العلل والوسائل الطبيعية واللجوء بدلها إلى الدعاء،وإنما المقصود أن نبذل غاية جهدنا في الاستفادة من الوسائل الموجودة،وبعد اليأس منها نلجأ إلى الدعاء فتنشرح النفس الداعية وتنبسط،وتُسرّ فضلاً عن زرع الثقة بالنفس، والاستعداد للهداية،واستقبال الحوادث بصدر رحب [1].

ومن كنوز تراثنا العربي الإسلامي كتاب نهج البلاغة الذي حفل بالكثير من المباحث منها : العبادات، والحكم والإدارة، والخلافة، والمواعظ، والأدعية، والمناجاة، والحرب والحماسة،والملاحم،والمغيبات،وغيرها[2]، وقد حثّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة على الدعاء مضمناً معاني قرآنية منها : تكفلُ الباري عزّ وجل بالإجابة لمن يدعوه بقوله ((وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ

١- ينظر : أثر الدعاء في النفس ٤.

٢ - ينظر : في رحاب نهج البلاغة ٣٢.

بِكَ أَوْلَى وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَبَابَ الِاسْتِعْتَابِ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ وَ اسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ))[1]، وكذا قوله ((من أعطي أربعاً لم يحُرم أربعاً : منْ أعطي الدعاء لم يحُرم الإجابة،ومنْ أعطي التوبة لم يُحرم القبول،وإنْ أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة،ومنْ أعطي الشكر لم يُحرم الزيادة))[2] وكذا قوله ((مَا كَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ وَلَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ،...))[3]،وقد ذكر آداب الدعاء وشروطه من ذلك قوله في وقت الدعاء ومكانه ((فمتى شئتَ استفتحتَ بالدعاء أبواب نعمته،واستمطرتَ شآبيب رحمته))[4] وكذا في رواية عَنْ نَوْفٍ الْبَكَالِيِّ، قَالَ : رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لِي : يَا نَوْفُ أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ، فَقُلْتُ بَلْ رَامِقٌ، قَالَ : يَا نَوْفُ طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً وَتُرَابَهَا فِرَاشاً وَمَاءَهَا طِيباً وَالْقُرْآنَ شِعَاراً وَالدُّعَاءَ دِثَاراً ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ يَا نَوْفُ

---

١ - نهج البلاغة، الرسالة ٣١،ص٤٦٤-٤٦٥.

٢ - المصدر نفسه،الحكمة ١٣٥،ص٥٧٧.

٣ - المصدر نفسه،الحكمة ٤٣٥،ص٦٣١.

٤ -المصدر نفسه،الرسالة ٣١، ص٤٦٤-٤٦٥.

إِنَّ دَاوُدَ (عليه السلام) قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ[1].

ومن شروط الدعاء أيضاً الإخلاص فيه،وعقد القلب عليه كما في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) : ((وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ وَمَانِعٍ عَزِيزٍ وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ))[2]، وكذا في حكمته التي يقول فيها : ((أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلًا لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ)) [3].

ومن الشروط أيضاً اليأس من غير الله تعالى؛ لأنّ مفاتيح الغيب عند الله تعالى فهو الذي يعطي من يشاء،ويمنع عمن يشاء بحسب المصلحة الإلهية فربما يسأل العبد ما هو شر له والله يبدله إلى الخير،وربما يسأل الخير فيؤخره؛ لأن المصلحة تقتضي التأخير، وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين : ((فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ

---

١ - وَهِيَ الطُّنْبُورُ ـ أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ ـ وَ هِيَ الطَّبْلُ، وَقَدْ قِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطَّبْلُ وَالْكَوْبَةَ الطُّنْبُورُ (نهج البلاغة، الحكمة ١٠٤،ص٥٦٨-٥٦٩).

٢ - المصدر نفسه وصيته إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) ص٤٥٨.

٣- المصدر نفسه، الحكمة ٨٢،ص٥٦٤.

جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ))[1].

ومن آداب الدعاء الافتتاح بذكر الله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله، وقد أكّد هذا المعنى في قوله ((إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهَّ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ (صلى الله عليه وآله) ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ الله أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى))[2]. ومن ذلك قوله ((الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ))[3].

عناصر الدعاء في نهج البلاغة

يعد الدعاء شكلاً فنياً فهو من حيث المظهر الخارجي يقوم عل عنصر المحاورة الانفرادية إذ يتوجه الإمام بكلامه المسموع إلى الله تعالى،ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر وجداني يجسّده الكلام المذكور إذ يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه[4]. ومن حيث المضمون تنطوي هذه المحاورة على محورين[5]:

١- المصدر نفسه، وصيته إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) ٤٦٤-٤٦٥.

٢- نهج البلاغة، الحكمة ٣٦١،ص٦١٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة ١٩٥،ص٣٥٦-٣٥٧.

٤- ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي / ٢٣٤، والبلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي/ د. محمود البستاني ١٥٠-١٥١.

٥- ينظر: أدب الشريعة الإسلامية - دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة=

الأول : فردي أو ذاتي يتصل بحاجات الداعي الشخصية كطلب المغفرة،والشفاء من المرض،وغيرهما .ومثاله عند الإمام (عليه السلام) قوله ((اللهمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[1].

الثاني : موضوعي،ويشمل كل ما هو غير ذاتي،وهو نمطان :

١- عبادي : يتصل بتمجيد الله والثناء عليه بذكر صفاته ومعطياته .

٢- اجتماعي : وينحصر بطلب إلى الله تعالى بتحقيق حاجات الآخرين مثل طلب النصر على العدو،واستسقاء المطر،والدعاء للآخرين ... الخ مثال ذلك قوله في خطبة الاستسقاء ((اللهمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَهَامَتْ دَوَابُّنَا وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا))[2].

ويمكن تلمس عناصر الدعاء من خلال العنصر الرئيس،وهو عنصر المحاورة الانفرادية بالآتي [3]:

١- **العنصر الإيقاعي** : لما كان الدعاء شكلاً معدّاً للتلاوة فحريّ به أن يتسم بوجود عنصر إيقاعي متمثل بالتجنيس والسجع ونحوهما، وقد بلغ أسلوبه حداً ترفّع

=عشر معصوماً / د. محمود البستاني١٦٣.

١- نهج البلاغة،الخطبة ٢٢٥،ص٤٠٤.

٢- المصدر نفسه، الخطبة ١١٥،ص١٩٦.

٣- ينظر : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ١٥١-١٥٢.

به السجع عن الصنعة والتكلف فهو على كثرة الجمل المتقاطعة الموزونة المسجّعة أبعد ما يكون من الصنعة وروحها،وأقرب ما يكون من الطبع الزاخر[1] لذا نجد الأدعية مشحونة بالإيقاع غير المتكلف بنحو لافت النظر فإذا ما استخدم هذا اللون من الإيقاع فإنه سيضفي جمالاً آخر يجمع بين جمال المعنى وجمال الإيقاع،ولما كان الإيقاع من خصائص القرآن الكريم لذا فالخطاب العلوي يستمد معانيه وأساليبه من الخطاب القرآني،وتتوقف قوة استخدام العنصر الإيقاعي على قدرة المتكلم على التلاعب بالحروف والكلمات[2].

٢- **العنصر الصوري** : ونظراً للوضوح والمباشرة والتقريرية التي تتضمنها طبيعة الحاجات المدعو بها فإن الدعاء لا يمنحه نفس الأهمية التي نجدها للإيقاع فالداعي يتقدم بحاجاته بلغة واضحة لا غموض ولا تعقيد ولا تعميق إلا في بعض الأدعية التي تتطلب عنصراً صورياً كالمناجاة التي تستلزم دخولاً إلى أغوار النفس في تشابك حالاتها المختلفة .

بلاغة الدعاء في نهج البلاغة

إذا كان القرآن الكريم هو معجزة النبوة فإن نهج البلاغة هي معجزة الإمامة فما من فقرة من فقرات النهج، وما من شذرة من شذراته إلا هي من غرس النبي العظيم المستمد من وحي السماء فما من موضوع يطرقه الإمام إلا وترى نور الخالق يشع أمامه وهدي الرسول يضئ له الطريق[3]، لذا يوضَع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمرتبة الثالثة من الإعجاز البلاغي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي؛ لأنّ

١- ينظر : الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ٢٩٤.

٢- ينظر : علوم نهج البلاغة / د. محسن باقر الموسوي ٣٧.

٣- ينظر : أعلام الهداية ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

في كلامه مسحة من الكلام الإلهي،وفيه عبقة ونفحة من الكلام النبوي،وبلاغته فن وذوق ينسجمان مع كل عصر وزمن فقد تعدّتْ طريقته الطريقة الكلاسيكية،وقفزتْ على المراحل الزمنية حتى عدّ البلغاء أدبه متماشياً مع كل عصر،وقد امتاز بأسلوبه البلاغي الخاص وبطريقته في صنع العبارة والجملة فأصبح أدبه متفرداً ذا خصائص معينة لا يشابهه أحد من البلغاء،ولما كانتْ البلاغة - كما يقول الدكتور محسن باقر الموسوي - تطير بجناحين هما : العلم،والشجاعة،وقد امتلكهما أمير المؤمنين فبلاغته تكون بالمستوى المطلوب؛ لأنها بمستوى شخصيته العلمية فهي بلاغة مستمدة من علم يستقي معينه من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،ومن كينونة جُبلتْ على الشجاعة والإقدام[1]، أما أسلوب نهج البلاغة فهو أسلوب مبتكر لم يسبق بأسلوب قبله إلا القرآن الكريم إذ إن أرضية الأفكار المطروحة في نهج البلاغة هي من ثمار الإبداع القرآني[2].

إنّ خصائص بلاغة الإمام علي (عليه السلام) موجودة ومطبوعة بأسلوبه وبيانه حتى في أدعيته،ولعل هذا رمز عظمة الإمام (عليه السلام) فقد حافظ على مستواه البلاغي في كل ما قاله وما كتبه في الخطابة أو الكلام أو الدعاء فأدعيته مصبوغة بصبغة بلاغية قلما نجدها في الأدعية الأخرى كما إنها مصبوغة أيضاً بصبغة روحانية قلما نجدها في الأدعية الأخرى فقد سكب الإمام من روحانيته أقصى ما يستطيع من التعابير الأدبية والفنية التي تظهر الخشوع والخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى[3].

إنّ بلاغة الإمام عليّ عليه السّلام تبلورت في النص الذي يخرج من رحم اللغة

---

١ - ينظر : علوم نهج البلاغة ٣٦٥-٣٦٩.

٢ - ينظر : في رحاب نهج البلاغة ٥٥.

٣- ينظر : المدخل إلى علوم نهج البلاغة / د. محسن باقر الموسوي ١٢٧.

مثل الوليد الجديد، وهو ـ في الوقت نفسه ـ يخرج من عالم الأفكار مثل الفكرة الجديدة الباهرة، وتتجلى جمالية نهج البلاغة في ألفاظه الفصيحة العذبة - ومنها ألفاظ الدعاء -،وفي نظمه المحكم،ودلالته على المعنى فالألفاظ سهلة في جريانها على اللسان،خفيفة في وقعها على النفس،يألفها الذوق ولا يجد صعوبة في إدراكها، وكل كلمة تقع موقعها اللائق والمناسب لها،وعندما يطرق اللفظ السمع يخطر معناه في القلب بوساطة قوالب جميلة محببة إلى النفس كالتشبيه،والاستعارة، والكناية،وغيرها[1] إذ يتناول مسائله الفكرية المتداولة والمشتركة،وكأنها معطيات جديدة، ذلك لأن قدرته البلاغية مبتكرة فالنص يُولد متكاملاً، في تأديته الوظيفية الخاصة به.

أغراض الدعاء في نهج البلاغة

لم يكن الدعاء وسيلة لإظهار التعبد والتذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى فحسب بل أنه يحمل معاني عديدة منها بث الشكوى لله تعالى،وإظهار عجز المخلوق وضعفه أمام قدرة الخالق،وقد استخدم أمير المؤمنين (عليه السلام) أسلوب الدعاء لأغراض كثيرة منها[2]:

١ - **الاستسقاء** : أورد أمير المؤمنين (عليه السلام) خطبا كثيرة طلباً لنزول المطر، وتعد هذه الخطب آية من آيات البلاغة،وموئلاً من موائل العلم والمعرفة فلو أخذنا الخطبة المائة وخمسة عشرة نجده يمهد لها بالوضع المأساوي الذي أصاب الناس في ذلك الزمان فقد كشف النقاب عن وضع الجبال والأراضي والمراتع والدواب من أثر الجفاف الشديد بقوله ((اللهمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَهَامَتْ دَوَابُّنَا

١ - ينظر : علوم نهج البلاغة ٣٦٩.

٢ - ينظر : المدخل إلى علوم نهج البلاغة ٣٨٧-٣٨٩.

وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا وَ الْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا)) [1] رافعاً يديه بالدعاء مبتهلًا إلى الله بأن يرحم أنين الشاة،وحنين الجمل من شدة عطشهما وصراخهما في أماكنهما بقوله ((اللهمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ وَحَنِينَ الْحَانَّةِ اللهمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَ أَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا)) مردفاً ذلك بحال المسلمين الذي شبهه بالحدابير التي واحدها الحدبور،وهو الجمل الذي بان عظام سنامه،وقد حزّ لحمه بصورة تامة أثر شدة الضعف في قوله ((اللهمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجُودِ)) مبتهلاً إلى الله في أنه الأمل والرجاء لكل بأس،وحلال لكل مشكلة لاسيما أنّ اليأس قد سيطر على الناس،ومنعت السماء بركاتها،والغيوم مياهها،وقد أشرفت الحيوانات على الهلاك سائلاً الباري عزّ وجل أن لا يأخذه بسيئات الأعمال وبوائق الذنوب في قوله ((فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ وَمُنِعَ الْغَمَامُ وَ هَلَكَ السَّوَامُ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا)) طارحاً طلبته الأصلية،وهي نزول الرحمة الإلهية،والبركة السماوية بنزول المطر بقوله ((وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ وَ النَّبَاتِ الْمُونِقِ سَحّاً وَابِلًا تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ)) ثم أتبعه بوصف المطر النازل بجملة أوصاف بلغت عشرين وصفاً،وهي أوصاف تجعل الإنسان يشعر بخضوع وتواضع أمام عظمة الخالق بقوله ((اللهمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً تَامَّةً عَامَّةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً هَنِيئَةً مَرِيعَةً زَاكِياً نَبْتُهَا ثَامِراً فَرْعُهَا نَاضِراً وَرَقُهَا تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ وَ تُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ اللهمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ)) وأضاف في معرض تواصله بطلب الماء ونزول المطر الذي يفيض بالخير والبركة بقوله ((وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً مِدْرَاراً

---

١ - نهج البلاغة، الخطبة ١١٥،ص ١٩٦-١٩٨،ومثلها الخطبة،١٤٣،ص ٢٢٩-٢٣٠والحكمة ٤٧٢،ص ٦٣٧.

هَاطِلَةً يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ))، وأردف ذلك بذكر تسعة أوصاف للمطر فضلاً العشرين بقوله ((غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا وَ لَا قَزَعٍ رَبَابُهَا وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ))،وإنه من دواعي العجب والدهشة أن يستسقي الإمام بذكر ٢٩ وصفاً للمطر في حين يذكر غيره صفة أو صفتين لنزول المطر بيد أن الإمام استفرغ أقصى فصاحته وبلاغته وتوسّل إلى الله تعالى مسهباً في أوصاف المطر ليعرّف الناس ألطاف الله وأفضاله ونعمه ورحماته،ويفهمهم أن مسار النعمة مليء بكثير من الموانع بحيث لا يسعهم بلوغ الكمال المنشود ما لم تشملهم رعاية الله ورحمته [١] مما حدا ببعض الباحثين أن يذهب إلى أنّ هذا الدعاء – دعاء الاستسقاء – قد اشتمل على علوم الجغرافية والتضاريس والأنواء الجوية والاقتصاد[٢] .

٢- عرض الأوضاع وتحليل الأحداث : يعرض الإمام الحالة السياسية التي تعيشها الأمة الإسلامية في عهده بأسلوب دعائي ليقع موقعاً حسناً في النفوس،وليعرف الناس ما يجري ما حولهم من أحداث كما في قوله ((أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ وَإِنِّي وَاللهَّ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ وَ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ اللهمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي اللهمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ))[٣]فقد وصف تثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له بالرأي بعد أن استباح بسر بن أرطاة

١ – ينظر : نفحات الولاية – شرح نهج البلاغة / ناصر مكارم الشيرازي٥/ ٧٩-٨٨.

٢ – ينظر : علوم نهج البلاغة ٣٨٧.

٣ – نهج البلاغة، الخطبة ٢٥،ص٥١-٥٢.

المدينة ثم اليمن وسفك الدماء وروّع الناس فقد استاء الإمام من موقف أصحابه وتخاذل قائديه عبيد الله بن عباس،وسعيد بن نمران هنالك دعا إمامنا الله تعالى أن يبدله بهم خيراً منهم ويبدلهم به شراً منه، ويذيب قلوبهم كما يُذاب الملح في الماء بضياع عقولهم وفطنتهم ودرايتهم وحكمتهم[1].

٣- **الشكوى** : يستخدم الإمام أسلوب الدعاء لغرض الشكوى ممن ظلمه من رعيته أو من أفراد مخصوصين ولهم باع في الدولة الإسلامية مثل طلحة والزبير كما في قوله ((اللهمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَنَكَثَا بَيْعَتِي وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا)) [2].

٤- **أغراض فكرية** : يستخدم الإمام أسلوب الدعاء لأغراض فكرية مثل التوحيد،وما يتعلق بصفات الله تعالى نحو قوله ((اللهمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ وَإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ اللهمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ اللهمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ اللهمَّ وَ هَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَ جُودُكَ فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[3].

---

١ - ينظر : نفحات الولاية ٢/ ٦٦-٦٧.

٢- نهج البلاغة، الخطبة ١٣٧،ص٢٢٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة ١٣١،ص٢١٧.

٥- التعبير عن مكنونات النفس وما يختلج في الأعماق من نوايا : يكون الدعاء أحياناً معبراً عما تكنه النفس الإنسانية من نوايا وما يختلج في الأعماق من دوافع مثل كون الإمام لم يطمح لمنافسة في سلطان، ولكنه أراد الإصلاح في البلاد والعباد إذ يقول : ((اللهمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ اللهمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) بِالصَّلَاةِ)) [١].

٦- رفع معنويات المقاتلين : يلجأ الإمام إلى الدعاء ليقوي عزيمة أصحابه ومعنوياتهم في ملاقاة الأعداء؛ لأن الدعاء يرد البلاء لاسيما إذا صدر من مؤمن فكيف بالإمام المعصوم المفترض الطاعة فالدعاء بالنسبة لأصحابه يمثل قوة ومنعة ضد الأعداء كما في دعائه عند لقاء العدو في صفين ((اللهمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لَا يُرَى وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً وَ لِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ)) [٢]. وكذا الحال في استنهاضه أصحابه لجهاد أهل الشام في قوله ((اللهمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ

---

١٣ - نهج البلاغة، الخطبة ٩١،ص١٥٣-١٥٤، وهي الخطبة المعروفة بخطبة الأشباح.

٢ - المصدر نفسه، الخطبة ١٧١، ص٢٨٣-٢٨٤.

وَسمَاوَاتِكَ ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ))[1].

٧- رسم صورة الصراع بينه وبين أعدائه : يستخدم الإمام الدعاء أحياناً ليرسم صورة بارعة للصراع الدائر بينه وبين أعدائه كما في قوله في قريش ((اللهمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ))[2].

ولم يكن (عليه السلام) يتألم لشخصه وموقعه لكنه كان يملك خطة تفتح الإسلام على حركة الوعي كلها، وتملأ الواقع الإسلام علماً وروحانية واستقامة وأمانة وفتحاً في الخط الإسلامي الأصيل فلم تكن قصته قصة كرسي يفقده لكنها قضية رسالة كان يريد أن يفتحها على الناس ليكمل الخط الرسالي الذي بدأه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) لكن الحواجز وقفت لتحول بينه وبين ذلك،وبقي مخلصاً لله ولرسوله ولرسالة الإسلام لذلك أغمد سيفه وانفتح على الذين أبعدوه وتقدّموا عليه فأعطاهم الرأي والمشورة والنصيحة[3] لذا قال ((لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّيَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ))[4].

٨- حقن الدماء وصلاح ذات البين وطلب الهداية : لقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) غاية في الخلق حتى مع أعدائه فعندما يسمع أصحابه يسبون أهل

---

١ - نهج البلاغة، الخطبة ٢١٢،ص ٣٨١.

٢ - المصدر نفسه، الخطبة ١٧٢،ص٢٨٥ .

٣- ينظر : علي ميزان الحق / السيد محمد حسين فضل الله ٣١٠-٣١١.

٤- نهج البلاغة، الخطبة ٧٤، ص ١٠٣-١٠٤.

الشام ينادى بهم ((إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ))[1] مبتهلًا إلى الله بقوله ((اللهمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ))، وهكذا كان في الحرب يعمل على أن يحفظ ألسنة جنوده من أن يسيئوا بالكلام بالسباب والشتيمة، ويعلمهم إذا ابتلوا بالصراع مع المسلمين الآخرين أن ينفتحوا بالمحبة فكأنما يقول له : حاربْ بمحبة ولا تكن روح التدمير في حربك بل روح السلام بحيث يكون تحركك في الحرب من موقع ضرورة، وقلبك يهتف بالله الذي يقول لك : ألقِ السلام[2].

٩- أهداف تربوية : من المعروف أنّ الدعاء يؤدي دوراً مهماً في تربية النفوس البشرية وسوقها نحو مدارج السمو والرفعة والكمال ناهيك عما يشتمل عليه من فضائل أخلاقية ومعارف ربانية تسبغ بها النفس وتمنحها الهدوء والسكينة كما في قوله ((اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اللهمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللهمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ))[3] فرصيد الإنسان هو النسيان فيقارف الكثير من الذنوب والمعاصي إلى درجة نسيانها وعدم الاعتذار إلى الله منها وطلب العفو والمغفرة أو الإصرار عليها وعدم الكف عنها فينبغي استحضار الذنوب والمعاصي وطلب العفو

١- نهج البلاغة، من كلمات كان يدعو بها ٧٨، ص١٠٦-١٠٧.

٢ - المصدر نفسه، من كلامه ٢٠٦، ص٣٧٤، وكذا الخطبة ٢٢٧ ص٤٠٦-٤٠٧.

٣- المصدر نفسه، من كلمات كان يدعو بها ٧٨، ص١٠٦-١٠٧.

والمغفرة كما ينبغي التضرع إلى الله تعالى بغفران الذنوب المنسية التي يعلمها الله فضلاً عن العهود والمواثيق التي عاهد بها نفسه ولم يفِ بها[1] ثم يطلب غفران ما يتقرب به إلى الله باللسان ثم يخالفه القلب ثم يعقبها بكلمات تبدو مترادفة المعنى،متساوقة في التعبير،متسقة في الوزن هي رمزات الألحاظ وسقطات الألفاظ،وشهوات الجنان وهفوات اللسان،وما هذه إلا الذنوب التي تقترفها جوارح الإنسان المتمثلة بالعين والقلب واللسان فرمزات الألحاظ هي إشارات العيون إلى عيوب الناس ومساوئهم،وسقطات الألفاظ لغوها أي ما ينطق به اللسان مما لا يُرضي الرحمن، وشهوات الجنان هي شهوات القلب أي ما يميل إليه القلب من متاع الحياة الدنيا وزينتها، وهفوات اللسان الكلام المحرّم الذي يقذفه اللسان من الغيبة والنميمة والبهتان والاستهزاء والسب والشتم والتهمة[2]. على أن الإمام (عليه السلام) لا يستغفر عن ذنب ولكن عن تواضع منه وتذلل لله سبحانه وتعالى،وكأنه يعّمنا كيف نتحدث مع الله بأننا إذا أذنبنا ثمّ تبنا،ثمّ أذنبنا،ومع ذلك فإن الله العارف بأننا خطّاءون؛ لأنّ شهواتنا وظروفنا تضغط علينا يريد منا إذا أذنبنا أن نتوب؛ لأنّ الله تعالى يقول[3] ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾- الزمر/ ٥٣.

ولما كان الدعاء سلاح الأنبياء والأوصياء والمؤمنين،ومخ العبادة،ودافعاً للبلاء لذا نجد أمير المؤمنين مواظباً على أدعية في أوقات معينة منها دعاؤه في الصباح الذي يقول فيه ((الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ

١ - ومثل ذلك في دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) في يوم الاثنين ((اللهم إني أستغفرك لكل نذر نذرته، وكل عهد عاهدته ثمّ لم أفِ به)) ينظر : الصحيفة السجادية١٣١.

٢- ينظر : في ظلال نهج البلاغة / الشيخ محمد جواد مغنية ١/ ٣٨٦،و نفحات الولاية ٢/ ١٥٩.

٣- ينظر : علي ميزان الحق ٣٠٠.

وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَءِ عَمَلِي وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي وَلَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِي وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَلَا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ اللهمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ))[1].

من ذلك دعاء أمير المؤمنين في السحر إذ يقول فيه :((إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك، وكيف لا أدعوك وقد عرفتك، وحبك في قلبي مكين، مددت إليك يدا بالذنوب مملوءة، وعينا بالرجاء ممدودة، إلهي أنت مالك العطايا وأنا أسير الخطايا، ومن كرم العظماء الرفق بالأسراء، وأنا أسير بجرمي مرتهن بعملي الهي ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحش المسلك على من لم تكن أنيسه، الهي لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، وإن طالبتني بسريرتي لأطالبنك بكرمك، وإن طالبتني بشري لأطالبنك بخيرك، وإن جمعت بيني وبين أعدائك في النار لأخبرنهم أني كنت لك محبا، وأنني كنت اشهد أن لا إله إلا الله . الهي هذا سروري بك خائفا فكيف سروري بك آمنا، الهي الطاعة تسرك والمعصية لا تضرك، فهب لي ما تسرك

١- نهج البلاغة،من دعاء له كان يدعو به كثيراً ٢١٥،ص ٣٨٤-٣٨٥،و أدعية الإمام علي (عليه السلام)- الصحيفة العلوية ١٦٤،و١٦٥،وكذا أدعيته في أيام الأسبوع فلكل يوم دعاء خاص كما هو الحال في الصحيفة السجادية، ويبدو أن الإمام زين العابدين قد اقتدى بجده أمير المؤمنين (ينظر هذه الأدعية في : أدعية الإمام علي (عليه السلام)- الصحيفة العلوية٣٤٣-٣٧٨) ،وهناك أدعية شهرية لكل يوم من كل شهر دعاء خاص على مدار أشهر السنة من اليوم الأول من كل شهر إلى الثلاثين (ينظر : أدعية الإمام علي (عليه السلام)- الصحيفة العلوية ٢١٩-٣٤٣).

واغفر لي ما لا تضرك، فهب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك، وتب علي انك أنت التواب الرحيم، ...))[1].

وكذا دعاؤه عند النوم،وعند تقلبه في الفراش، وفي جوف الليل،وبعد الركعة الثامنة من صلاة الليل،وفي ركعة الوتر[2]، وغيرها،لذا تنوعت الأدعية بما يناسب نوع الصراع لتكون أسلحة فعّالة على مختلف الجهات التي ينفذ منها إبليس وجنوده فلكل وقت دعاء،ولكل حالة دعاء،ولكل شأن دعاء ولكل مكان دعاء حتى يكاد الدعاء يحيط بالمرء إحاطة المعصم باليد ليجعله ذاكراً لله في كل وقت وحين فلا يستطيع الشيطان أن يلعب بقلبه أو بعقله،وقد كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مولعاً بالدعاء والابتهال إلى الله في الأوقات جميعها إذ كان يلهج به في آناء الليل وأدبار النهار في الحل والترحال،وفي ساحات القتال، ذاكراً ذلك بمزيد من التذلل والخضوع عظيم قدرة الله، وعجيب مخلوقاته، وبديع صنعه،ورحمته على عباده[3]، ومن أمثلة هذه الأدعية أدعية الصباح والزوال والمساء والسحر فضلاً عن أدعية الأوقات المخصوصة مثل ليلة الجمعة ويوم الجمعة وليالي الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى[4]،وقد حثّ أمير المؤمنين على الدعاء في يوم الجمعة عاداً إياه سيد الأيام وعيداً من أفضل الأعياد في قوله ((ألا إن هذا يوم جعله الله لكم عيدا،وهو سيد أيامكم وأفضل أعيادكم، وقد أمركم الله تعالى في كتابه بالسعي فيه إلى ذكره فلتعظم فيه رغبتكم ولتخلص نيتكم وأكثروا فيه من التضرع إلى الله والدعاء ومسألة الرحمة والغفران، فإن الله يستجيب

١- المزار / محمد بن المشهدي ١٥٠.

٢ - ينظر : أدعية الإمام علي (عليه السلام)- الصحيفة العلوية، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٦،وغيرها.

٣ - موسوعة الإمام أمير المؤمنين ٤/ ١٣.

٤- ينظر : أبواب الرحمة ١٣٢-١٣٣.

لكل مؤمن دعاءه ويورد النار كل مستكبر عن عبادته قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] واعلموا أن فيه ساعة مباركة لا يسأل الله فيها مؤمن خيرا إلا أعطاه))[2].

ومن أدعية ليلة الجمعة الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين لكميل بن زياد والذي عُرف باسمه (دعاء كميل)، وفيه يتوسل الداعي بأربعة وسائل هي :[3]

١- سابق فضل الله وكرمه وبره بعبده فإذا كان في عمل العبد وجهده عجز وقصور يحجبانه عن الله فإن سابق فضله تعالى ورحمته بعبده يشفع للعبد إلى الله،وهو دليل على حب الله لعبده،وهذا الحب الإلهي هو الوسيلة التي يقدمها العبد بين يدي حاجاته إلى الله فإذا كان لا يستحق رحمة الله تعالى فإن حب الله تعالى له يؤهله لرحمته وفضله،ويضعه في موضع الإجابة إذ يقول الإمام في هذه الوسيلة ((يا من بدأ خلقي وذكري وتربيتي وبري وتغذيتي، هبني لابتداء كرمك وسالف برك بي))[4] فقد بدأنا بالبر والذكر والخلق والتربية قبل أن نسأله ذلك كله ودون أن نستحقه .

٢- حبنا له،وهو وسيلة ناجحة ومؤثرة عند الله تعالى كحبه لنا فإن للحب قيمة كبيرة لا تضاهيها قيمة عند الحبيب،ومهما شككنا في شيء فلا نشك في حبنا لله تعالى ولأوليائه، وفي سياق هذه الوسيلة يأتي توحيدنا له تعالى وخشوعنا بين يديه وصلاتنا وسجودنا وشهادتنا واعترافنا له بالربوبية،وعلى أنفسنا بالعبودية على

١- الآية ٦٠ من سورة غافر.

٢ - مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي ٣٨٢.

٣- ينظر : الدعاء عند أهل البيت ١٤١- ١٤٩.

٤- مصباح المتهجد ٨٤٦.

أنّ الحب والتوحيد بضاعتان لا يردهما الله تعالى ومهما شككنا في شيء فلا نشك ولا نتردد لحظة واحدة في هذا ولا ذاك،وفي ذلك يقول الإمام (عليه السلام): ((أتراك معذبي بنارك بعد توحيدك وبعد ما انطوى عليه قلبي من معرفتك ولهج به لساني من ذكرك واعتقده ضميري من حبك وبعد صدق اعترافي ودعائي خاضعا لربوبيتك ... وليت شعري يا سيدي وإلهي ومولاي ! أتسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة وبشكرك مادحة وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محققة وعلى ضمائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة وعلى جوارح سعت إلى أوطان تعبدك طائعة وأشارت باستغفارك مذعنة، ما هكذا ؤ الظن بك ولا أخبرنا بفضلك عنك يا كريم))[1].

٣- ضعفنا عن تحمل العذاب، ورقة جلودنا،ودقة عظامنا،وقلة صبرنا، والضعف وسيلة ناجحة إلى القوي المتين،وفي كل ضعف ما يجذب القوي، ويستعطفه،ويكسب عطفه ورحمته كما في قوله ((يا رب ارحم ضعف بدني ورقة جلدي ودقة عظمي، ... وأنت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أن ذلك بلاء ومكروه قليل مكثه يسير بقاؤه قصير مدته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها وهو بلاء تطول مدته ويدوم مقامه ولا يخفف عن أهله لأنه لا يكون إلا عن غضبك وانتقامك وسخطك وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، يا سيدي فكيف لي وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين))[2]،وفي مناجاة أخرى له (عليه السلام) يقول : ((مولاي يا مولاي أنت القوي وأنا الضعيف وهل يرحم

١- مصباح المتهجد: ٨٤٦.

٢- المصدر نفسه/ ٨٤٦-٨٤٧.

الضعيف إلا القوي))[1] .

٤- اضطرار العبد إلى الله،وهي أيضاً وسيلة ناجحة فلا يجد الإنسان حاجته إلا عند مولاه ولا يجد مهرباً إلا إليه ولا ملجأً إلا عنده،وهذا شبيه بالطفل الصغير الذي لا يرى في عالمه الصغير غير أمه وأبيه فهما المسؤولان عن حمايته وقضاء حاجاته وتلبية رغباته وطلباته،وهما اللذان يمنحانه الرحمة والعطف والحنان والرأفة والشفقة والأمن فإذا ارتكب ا يستحق العقوبة منهما وخافهما على نفسه التفت يميناً ويساراً فلم يجد من يلجأ إليه فيلجأ إليهما،ويلقي بنفسه في أحضانهما مستغيثاً بهما،وهما يريدان مؤاخذته وعقوبته فكذاك العبد المذنب لا يجد من يلجأ إليه سوى خالقه وبارئه ومصوره وراحمه مع علمه بأنه يريد عقوبته كما في قول الإمام (عليه السلام) : ((فبعزتك يا سيدي ومولاي أقسم صادقا لئن تركتني ناطقا لأضجن إليك بين أهلها ضجيج الآملين ولأصرخن إليك صراخ المستصرخين ولأبكين عليك بكاء الفاقدين ولأنادينك أين كنت يا ولي المؤمنين ! يا غاية آمال العارفين ! يا غياث المستغيثين ! يا حبيب قلوب الصادقين ! ويا إله العالمين ! أفتراك سبحانك يا إلهي وبحمدك تسمع فيها صوت عبد مسلم يسجن فيها بمخالفته وذاق طعم عذابها بمعصيته وحبس بين أطباقها بجرمه وجريرته، وهو يضج إليك ضجيج مؤمل لرحمتك ويناديك بلسان أهل توحيدك ويتوسل إليك بربوبيتك، يا مولاي فكيف يبقى في العذاب وهو يرجو ما سلف من حلمك أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك أم كيف يحرقه لهبها وأنت تسمع صوته وتري مكانه أم كيف يشتمل عليه زفيرها وأنت تعلم ضعفه أم كيف يتغلغل بين أطباقها وأنت تعلم صدقه أم كيف تزجره زبانيتها وهو

١- بحار الأنوار٩٧/ ٤١٩.

يناديك يا ربه أم كيف تنزله فيها وهو يرجو فضلك في عتقه منها فتتركه هيهات ما ذلك الظن بك ولا المعروف من فضلك ولا مشبه لما عاملت به الموحدين من برك وإحسانك،...))[1].

وهذا يدلّ على أدب الأئمة - ومنهم أمير المؤمنين - مع خالقهم فهم عنوان المؤمنين،ومؤدبو البشرية، وسادات المؤمنين،ارتضعوا من ثدي الرسالة ودرجوا في بيت الوحي والتنزيل،ومنهم نتعلم الآداب والأخلاق والفضيلة، وقد اختطوا منهجاً واضحاً،وطريقاً لاحباً في أدب الدعاء والمناجاة[2]،ولعل خير دليل على ذلك تكراره عليه السلام كلمة (اللهم) [3]في أدعيته المباركة والتي تُلمع إلى شدة تقرب العبد إلى ربه، وتفسّر حالة انقطاع العبد إلى خالقه فتستقر النفس وتأنس باللطف والعناية الإلهية؛ لأنّ خالقها يسمع دعاءها،ويلبي نداءها فهو القائل﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾- البقرة / ١٨٦ على أنّ هذه الأدعية بمجموعها تمثل مدرسة ومنهاجاً عملياً تطبيقياً يعيشه الإنسان،وتربيه على مخاطبة خالقه وتعرّفه صفاته ونعمه وعطاياه،وتحثه على الورع والتقوى والتوبة والإنابة ومكارم الأخلاق وترويض شهوات النفس،وتعرّفه الأعمال الصالحة والسلوك الشرعي الراقي، وتكشف وسائل الشيطان ومداخله التي يدخل منها إلى الإنسان[4]، لذا يعد الدعاء نوعاً من الممارسات الوجدانية، ويفترق عن غيره من سائر أنواع التعبير الفني بكونه يجسد تجربة داخلية يتكفل بصياغتها

---

١ - مصباح المتهجد ٨٤٨.

٢ - ينظر : منهج الدعاء عند أهل البيت ٣٨-٣٩.

٣ - من ذلك : الخطب ٢٥، ٧٢، ٩١، ١٠٦، ١١٥، ١٤٣، ١٧٢، ١٩٣، ٢٠٦،وغيرها.

٤ - ينظر : دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ٢/ ٤٢٠.

المشرع الإسلامي ويقدمها ليتمثلها الداعي وكأنها من نتاج ذاته[1].

صور بلاغية في أدعية نهج البلاغة

عندما نتفحص أدعية الإمام علي (عليه السلام) سنجد أنها مشتملة على صور بلاغية متنوعة تشكلها فنون بيانية مختلفة من مجاز وكناية واستعارة فقد توافر الإمام على جميع الصور الفنية وتداخلتْ هذه الصور المختلفة في نص واحد لتكوين أسرار فنية كامنة وراء حشد بعض الأدعية بعنصر الصورة،وضمور ذلك في سائر الأدعية فضلاً عن أسرار فنية أخرى كامنة وراء حشد غالبية الأدعية بعنصر الإيقاع وصلة ذلك بعنصر التلاوة الذي يميز الدعاء عن غيره من فنون التشريع الإسلامي[2]، ويمكن تلمس بعض الصور البيانية في أدعية نهج البلاغة في ما يأتي [3] :

في قوله (اللهم إليك أفضتْ القلوب ومُدّت الأعناق) نلمح كناية فمد العنق بمعنى تطويله،وهو كناية عن الميل والتطلع، وفي قوله (اللهم وقد بسطتَ لي في ما لا أمدح به غيرك،ولا أثني به على أحد سواك) كناية عن بلاغة الكلام وعذوبة لسانه (عليه السلام)، وفي قوله (اللهم فإن ردوا الحق فافضضْ جماعتهم وشتتْ كلمتهم) شبه الآراء بالكلمة أي شتتَ آراءهم لأنها التي تتفرق،ولما كانتْ الكلمة سبب ظهور الآراء أطلقتْ عليها مجازاً مرسلاً،وفي قوله (استودع الله دينك ودنياك،وأسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة) يشبه الخالق بالأمين الذي يأمِّن الإنسان لديه أمواله وممتلكاته كما يشير إلى ذلك بوساطة لفظة (استودع)، وفي قوله (اللهم قد

---

١ - ينظر : الإسلام والفن / د.محمود البستاني ١٧٠.

٢ - ينظر : المصدر نفسه: ١٧٨.

٣ - ينظر : علوم نهج البلاغة ٣٩٧-٤١٦.

صرح مكنون الشنآن،وجاشتْ مراجل الأضغان) يستعير شدة البغضاء وتأصيلها في النفوس بقوله (جاشتْ مراجل الأضغان).

الاقتباس القرآني في أدعية أمير المؤمنين (عليه السلام)

يعدُّ الاقتباس من القرآن الكريم في أدعية أمير المؤمنين من السمات والخصائص الدلالية البارزة في خطبه (عليه السلام) ومن ذلك في أدعيته ومناجاته فنجده كثيراً ما يقتبس من القرآن الكريم،وللتدليل على ذلك نأخذ نصوصاً من أدعيته المباركة كما في واحدة من مناجاته ((اللهم إني أسألك الأمان ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [1]،وأسألك الأمان ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[2]، وأسألك الأمان يوم ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [3] وأسألك الأمان يوم ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾[4] وأسألك الأمان ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [5] وأسألك الأمان ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾ [6] وأسألك الأمان ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ

١- الآيتان ٨٨و٨٩ من سورة الشعراء.

٢- الآية ٢٧ من سورة الفرقان.

٣- الآية ٤١ من سورة الرحمن.

٤- الآية ٣٣ من سورة لقمان.

٥- الآية ٥٢ من سورة غافر.

٦- الآية ١٩ من سورة الانفطار.

شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1]، وأسألك الأمان يوم ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾[2]))[3].

ومثل ذلك في قوله ((اللهمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ اللهمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ اللهمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ﴾[4]))[5].ويبدو أن سياق الآية القرآنية هنا يتداخل مع سياق الدعاء بحيث لم ينفصل أحدهما عن الآخر إذ جسّدت الآية الكريمة مفهوم الدعاء بأكمله من الدعوة إلى الفتح والنصر[6].

وكذا قوله ((إليك رفعت الأصوات، ودعيت الدعوات، ولك عنت الوجوه، ولك خضعت الرقاب، وإليك التحاكم في الأعمال، يا خير من سئل، ويا خير من أعطى، يا صادق يا بارئ، يا من لا يخلف الميعاد، يا من أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، يا من قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[7]،يا من قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

١- الآيات ٣٤-٣٧ من سورة عبس.

٢-الآيات ١١ - ١٦ من سورة المعراج

٣- المزار: ١٧٣ - ١٧٤.

٤- الآية ٨٩ من سورة الأعراف.

٥-نهج البلاغة، المختار من كلامه ورسائله، رقم ١٥.

٦-ينظر: أدب الدعاء في نهج البلاغة - دراسة دلالية ١٧٧.

٧-الآية ٦٠ من سورة غافر.

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1] ويا من قال: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2] لبيك وسعديك ها أنا ذا بين يديك، المسرف وأنت القائل ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[3]))[4].

وكذا قوله ((إلهي نمت القليل فنبهني قولك المبين ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5] فجانبت لذيذ الرقاد بتحمل ثقل السهاد، وتجافيت طيب المضجع بانسكاب غزير المدمع، ووطئت الأرض بقدمي، وبؤت إليك بذنبي، ووقفت بين يديك قائما وقاعدا وتضرعت إليك راكعا وساجدا، ودعوتك خوفا وطمعا، ورغبت إليك والها متحيرا))[6].

وقد يكون الاقتباس غير مباشر من القرآن الكريم فينقله بمعناه لا بلفظه، ومن ذلك مثلاً قوله ((اللهمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ

١- الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

٢- الآية ٥٣ من سورة الزمر.

٣- جزء من الآية ٥٣ من سورة الزمر.

٤- بحار الأنوار ٥٢/ ٧.

٥- الآيتان ١٦و١٧ من سورة السجدة.

٦- بحار الأنوار ٨٤/ ٢٤٦.

الْأَبَاطِيلِ وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ))[1].فقد اقتبس معنى قوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾-النازعات ٢٨-٣٠.

وكذا قوله ((إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه . واخشوه خشية ليست بتعذير. واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له. نسأل الله منازل الشهداء . ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء)) [2].

فقد اقتبس معنى قوله تعالى ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾- الكهف / ٤٦، ومعنى قوله تعالى ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ - البقرة / ٢٢٣ .كما اقتبس في قوله (والعمل الصالح حرث الآخرة) معنى قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ - الشورى / ٢٠. أما خاتمة الدعاء بسؤاله الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء،ولعله اقتبس معنى الآية الكريمة،وهي قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾)[3]- النساء / ٦٩.

ويبدو أن اقتباساته من القرآن لفظاً ومعنى توحي إلى تأثره (عليه السلام)

١- نهج البلاغة،الخطبة ٧٢،ص ١٠٠-١٠١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة ٢٣، ص ٤٨-٤٩.

٣- ينظر : أدب الدعاء في نهج البلاغة - دراسة دلالية ١٧٨-١٧٩.

بالقرآن، وهو ربيب القرآن، وبالبلاغة القرآنية، وهو أمير الفصاحة والبيان،فضلاً عن تأثره بأسلوب الدعاء في القرآن الكريم من ذلك مثلاً قوله ((أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا إِنَّ الله يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ وَقَدْ جَعَلَ الله سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً ﴾[1] فَرَحِمَ الله امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ اللهمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ اللهمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللهمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَجْأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ...)) فالإمام يستحضر في استشهاده بالنص القرآني حالة النبي نوح (عليه السلام)،ويطبقها على علاقة قومه بالله تعالى وعلاقتهم به فكان الاستغفار هو السبيل الوحيد لدرور أنواع الرزق من الغيث والأموال والبنين[2].

١- الآيات ١٠ - ١٢ من سورة نوح.

٢- ينظر : أدب الدعاء في نهج البلاغة - دراسة دلالية ١٧٣.

الخاتمة

لقد لفت الإمام علي (عليه السلام) انتباه الفكر الإنساني عامةً بشخصيته الفذة النادرة الملهمة فكان موسوعة فكرية عامة تألقت في مختلف ميادين الفكر والمعرفة لذا تراه مؤسساً لكثير من العلوم بمختلف تقسيماتها،ولا غرابة في ذلك فقد استقى علمه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقد تربى في حجره منذُ الصغر،وتكشف هذه العلاقة عن الرابطة الحميمة بين النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلي (عليه السلام) والموقع والمكانة التي يشغلها من اهتمامه بتلقيه علوم الوحي وتفسير كتاب الله،وأنه كان يلقي عليه من أخلاقه وعلومه وتجاربه، وبالمقابل كان علي يتلقى كل ما يفيض عليه معلمه ومربيه من صنوف المعرفة، وهذا يدل على أنه تلقى عن معلمه الأوحد كل ما علّمه إياه ومن ذلك علوم القرآن من التأويل والتفسير،والناسخ والمنسوخ،والمحكم والمتشابه، والخاص، والعام، وغيرها.

وهو من العلماء المظلومين في الحياة؛ لأنه لم يُسمع له، ولم يؤخذ منه كما أراد ورغب؛ ولأنه العالم وليس كالعلماء فهو القادر على القضاء والحكم لأهل التوراة بتوراتهم،ولأهل الإنجيل بإنجيلهم،ولأهل القرآن بقرآنهم كان الإمام يملك طاقات هائلة من العلم لا يملكها غيره فثرواته العلمية شملت جميع ما يقع في الدنيا من أحداث في ما هو كائن وما يكون حتى يرث الأرض ومن عليها لكن من المؤسف أنّ

الأمة لم تستغل هذا الجهبذ العظيم،ولم تحتضنه ليفيض عليها بعلومه ومعارفه وثقافته فقد باعدوا بينه وبين الحياة السياسية العامة في البلاد محتجين بحجة تنمُّ عن حقدهم الدفين وهي أن الخلافة والنبوة لا تجتمع في بيت واحد متناسين أنه الوحيد من بين الصحابة الذي لم يُسأل عن مسألة إلا وأجاب عنها،بل هو الوحيد الذي لم يحتج أن يسأل أحداً عن مسألة إلا وأجاب عنها،بل هو الوحيد الذي لم يحتج أن يسأل أحداً عن مسألة،وهو المرجع الذي يرجع إليه الصحابة في جميع أمورهم على أن علمه (عليه السلام) ليس له فهو ليس مثل بقية الذين يحملون العلم من أجل أن يجمدوه في ذواتهم أو ليحصلوا على امتيازات خاصة فقد كان يشعر أن علمه ليس ملكاً له؛ لأنه ملك الله،والله يريد منه أن ينفقه على خلقه لذا كان يطلب من الناس،وهو مسجى على فراش الموت أن يسألوه فلا يترك فرصة يشعر فيها أن الناس بحاجة إليه إلا وبادر إليها من أجل إزالة شبهة عنهم أو فتح باب لهم للحق أو تخطيط لهم على طريق الهدى أو إنقاذهم من طريق الضلال.

وتتجلى رؤية أمير المؤمنين للقرآن الكريم في كونه تبياناً لكل شيء، ويصدق بعضه بعضاً، وأنه محفوظ،وناطق،وعامر إلى يوم القيامة،وأنه أحسن الحديث، وربيع القلوب،وشفاء من جميع العلل والأمراض،وأنه آمر زاجر،صامت ناطق، وأنه أول العلوم الإسلامية، لا تنقضي عجائبه،ولا تفنى أسراره، وأنه الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدّث الذي لا يكذب، وأنه شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وأنه منجي البشرية من جميع مشاكلها لذا يجب العمل به وتحكيم مناهجه، إنه كتاب تحكيم، بيان لأحكام الله للبشر، وفيه أخبار الماضي، والحاضر، والمستقبل.

وقام أمير المؤمنين (عليه السلام) بفتح باب الحوار والسؤال عن القرآن وكل ما يتعلق بالشريعة المقدسة أمام الجماهير المسلمة وبصورة علنية وعامة دونما تردد

حتى في جواب مخالفيه وأعدائه الحاقدين،وله احتجاجات قرآنية كثيرة مع الملاحدة والمنحرفين من اليهود والمسيح وغيرهم في موضوعات متعددة،واتجاهات متباينة، دلّت على عقليته الثاقبة وذكائه الخارق فلم يعجزه جواب عن كل ما سئل فراح الناس يقصدونه من كل حدب وصوب يناقشونه في معتقداتهم، ويتباحثون معه في مختلف قضاياهم،وهذا ما جعله يملك القلوب والعقول معاً.

وتحكي احتجاجاته القرآنية طبيعة علاقة الإمام علي (عليه السلام) بالقرآن ومدى تفاعله معه فما من نص من احتجاجاته إلا وتجد فيه ما يعيدك إلى القرآن بنص آية منه، أو إظهار بصيرة من وحيه فالقرآن كتابه الأوحد الذي يستمد منه علومه ومعارفه،ويأخذ منه رؤاه وأفكاره،ويستنبط منه أحكامه وشرائعه من هنا كان القرآن سلاحه الأول في منازلاته الفكرية والعقائدية إذ كان يعود إليه في كل بحث، ويستنطقه في كل قضية فهو المتقن لعلوم القرآن،والحافظ لآياته،والمتابع لنزوله، والعارف بأسراره،والملم ببصائره فمن يتأمل احتجاجاته يلمس حقيقة معرفة الإمام بالقرآن،وسعة فهمه لنصوصه،وقدرته الكبيرة على الاستدلال بآياته في كل موضوع ،ولعل الدليل على أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد كتب تفسيراً وشرحاً للقرآن الكريم هو احتجاجه على الزنديق من أنه أتى بالكتاب كَمُلا مشتملا على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ،... الخ، وكذا احتجاجه على جماعة من المهاجرين والأنصار بالقول ومن الأدلة أيضاً على تأليفه التفسير الذي غُيّب هو أن أول عمل قام به بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) - وهو ما أوصاه به صلى الله عليه وآله - هو جمعه القرآن الكريم وترتيبه له بحسب النزول فضلاً عن معلومات فريدة عن النزول والتفسير والتأويل الذي تحتاجه الأمة الإسلامية،وكان قد عرضه على الخليفة الأول فقال : لا حاجة لنا به فأشار الإمام (عليه السلام) إلى أنهم سوف لا يحصلون عليه بعد ذلك اليوم،وترد في كتب التاريخ والسيرة عبارة

(مصحف علي) و (مصحف أُبي بن كعب) و(مصحف ابن مسعود)، وقد توهَّم بعض الدارسين أنّ ذلك دليل على تحريف القرآن، وأنَّ مصحف علي (عليه السلام) فيه آيات غير الآيات الموجودة في مصاحف الآخرين .والصحيح أنَّ مصحف علي (عليه السلام) هو نفس المصحف الذي جمعه ابن كعب وابن مسعود وغيرهم، ولكن الاختلاف هو في التأويل والتفسير، وقد ذكر السيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره) مجموعة من الروايات حول المصحف الذي جمعه أمير المؤمنين (عليه السلام)،وهو يختلف عن بقية المصاحف فالزيادات الموجودة عليه هي شروح للنص القرآني، وقد يصل المصحف إلى مجلدات من الشرح والتعليق والتفسير، وكان من تغييبهم لعلمه بالتفسير موقف الخلفاء الثلاثة الموحد من منعهم إياه من تفسير القرآن بحرقهم للمصاحف المفسّرة ففي هذه المصاحف حواش تفسيرية للقرآن الكريم كان الصحابة الأوائل قد دونوها من أقوال الرسول(صلى اللهً عليه وآله وسلم)؛لذا يعد تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) للقرآن الكريم من التفاسير التي غُيّبتْ،وأُسدل عليها الستار؛ لأسباب كثيرة منها : تغييب الهوية العلمية العلوية التي يتمتع بها أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو باب مدينة رسول،وأعلم الخلائق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن وغيره فهو الرائد الأول لكل علم بل هو موسوعة معارف متنوعة فلم ينل هذه المنزلة السامية في التفسير وفي غيره من العلوم بانزوائه في دهاليز مكة أو المدينة،واعتزاله الناس بالانكباب على مطالعة القرآن والتبحر في محتواه،وإنما كان في قلب الأحداث التي رسمت معالم الأمة الإسلامية في عهدها الأول فلم يغفل عن القرآن، وهو يقاوم شظف العيش وقسوة الظروف،والقرآن في صدره وهو يحمل أعداء الدين بسيفه البتّار،والقرآن أمام عينيه وهو يحكم البلاد إذ كان ملازماً للقرآن في الأحوال والظروف كلها حتى تجلى القرآن في حركاته وسكناته،ولم يجد الناس بداً من الرجوع إليه في معرفة معاني الآيات وتفسيرها .

وقد بادر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأصحابهم،وعلماؤنا بتفسير القرآن الكريم مثل تفسير الإمام الباقر (عليه السلام)،وتفسير أبي حمزة الثمالي،وتفسير التبيان للشيخ الطوسي،وتفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي،وغيرهم ممن عُنوا بالبحث عن أسرار القرآن،وكشف كنوزه،وبيان أحكامه،والعمل بها في مجالي الفهم والتطبيق. وقد كان الدور الذي قام به أهل البيت (عليهم السلام) في تفسير القرآن الكريم دور تربية وتعليم وإرشاد إلى معالم التفسير فقد كانت تفاسيرهم المأثورة عنهم تفاسير نموذجية كانوا قد عرضوها على الأمة والعلماء ليتعرفوا إلى أساليب التفسير عنهم، وهذا يدل على حرصهم الشديد على تعليم الأمة كيفية تفسير القرآن الكريم،وإيقافهم على نكت وطرف من هذا الكلام البارع فهم ورثة الكتاب الإلهي الخالد،وحملته إلى الناس بأمانة صادقة وأداء كريم.

أما مناهجه في التفسير فقد ضمّ في تفسيره جميع أنواع التفسير فقد وجدنا في نماذجه التفسيرية المختارة تفسيرات باطنية،وفقهية،وتفسير القرآن بالقرآن،وتفسيرات روائية،وغيرها، مما يدل على أنه الرائد الأول للتفسير بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) فكل المناهج التفسيرية منبثقة منه وراجعة إليه.

وأما منهجه التفسيري فيتلخص بإيضاح معنى لغوي عام،أو تفصيل إجمال،أو بيان مبهم، أو تخصيص عام،أو تجلية مصداق،أو استنباط حكم شرعي فرعي، أو إرشادي أو تنزيهي وغير ذلك مما ينتظمه تفسير النص القرآني.

ويعد الدعاء شكلاً فنياً فهو من حيث المظهر الخارجي يقوم على عنصر المحاورة الانفرادية إذ يتوجه الإمام بكلامه المسموع إلى الله تعالى،ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر وجداني يجسّده الكلام المذكور إذ يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه، ومن حيث المضمون تنطوي هذه المحاورة على محورين:

الأول،فردي أو ذاتي يتصل بحاجات الداعي الشخصية كطلب المغفرة، والشفاء من المرض،وغيرهما، والثاني،موضوعي،ويشمل كل ما هو غير ذاتي، وهو نمطان: عبادي : يتصل بتمجيد الله والثناء عليه بذكر صفاته ومعطياته، واجتماعي : ينحصر بطلب إلى الله تعالى بتحقيق حاجات الآخرين مثل طلب النصر على العدو،واستسقاء المطر،والدعاء للآخرين ... الخ.

أما عناصر الدعاء فهي: عنصر المحاورة الانفرادية،والعنصر الإيقاعي،والعنصر الصوري .

ويوضَع كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمرتبة الثالثة من الإعجاز البلاغي بعد القرآن الكريم والحديث النبوي؛ لأنّ في كلامه مسحة من الكلام الإلهي،وفيه عبقة ونفحة من الكلام النبوي،وبلاغته فن وذوق ينسجمان مع كل عصر وزمن فقد تعدّتْ طريقته الطريقة الكلاسيكية،وقفزتْ على المراحل الزمنية حتى عدّ البلغاء أدبه متماشياً مع كل عصر،وقد امتاز بأسلوبه البلاغي الخاص وبطريقته في صنع العبارة والجملة فأصبح أدبه متفرداً ذا خصائص معينة لا يشابهه أحد من البلغاء،ولما كانتْ البلاغة تعتمد على عنصرين هما : العلم،والشجاعة،وقد امتلكهما أمير المؤمنين فبلاغته تكون بالمستوى المطلوب؛ لأنها بمستوى شخصيته العلمية فهي بلاغة مستمدة من علم يستقي معينه من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،ومن كينونة جُبلتْ على الشجاعة والإقدام. أما أسلوب نهج البلاغة فهو أسلوب مبتكر لم يسبق بأسلوب قبله إلا القرآن الكريم إذ إن أرضية الأفكار المطروحة في نهج البلاغة هي من ثمار الإبداع القرآني.

إنّ خصائص بلاغة الإمام علي (عليه السلام) موجودة ومطبوعة بأسلوبه وبيانه حتى في أدعيته،ولعل هذا رمز عظمة أمير المؤمنين فقد حافظ على مستواه البلاغي في

كل ما قاله وما كتبه في الخطابة أو الكلام أو الدعاء فأدعيته مصبوغة بصبغة بلاغية قلما نجدها في الأدعية الأخرى كما إنها مصبوغة أيضاً بصبغة روحانية قلما نجدها في الأدعية الأخرى فقد سكب الإمام من روحانيته أقصى ما يستطيع من التعابير الأدبية والفنية التي تظهر الخشوع والخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى .

إنّ بلاغة الإمام عليّ عليه السّلام تبلورت في النص الذي يخرج من رحم اللغة مثل الوليد الجديد، وهو ـ في الوقت نفسه ـ يخرج من عالم الأفكار مثل الفكرة الجديدة الباهرة، وتتجلى جمالية ألفاظ الدعاء في نهج البلاغة في ألفاظه الفصيحة العذبة، وفي نظمه المحكم،ودلالته على المعنى فالألفاظ سهلة في جريانها على اللسان، خفيفة في وقعها على النفس،يألفها الذوق ولا يجد صعوبة في إدراكها،وكل كلمة تقع موقعها اللائق والمناسب لها،وعندما يطرق اللفظ السمع يخطر معناه في القلب بوساطة قوالب جميلة محببة إلى النفس كالتشبيه،والاستعارة،والكناية،وغيرها إذ يتناول مسائله الفكرية المتداولة والمشتركة،وكأنها معطيات جديدة، ذلك لأن قدرته البلاغية مبتكرة فالنص يُولد متكاملاً، في تأديته الوظيفية الخاصة به، ولم تجتمع شروط الفصاحة في ألفاظه التي أتت موافقة لمقتضى الحال لأديب كما اجتمعت لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنشاؤه أعلى مثل للبلاغة بعد القرآن الكريم بكونه موجزاً على وضوح،قوياً جيّاشاً،تاماً منسجماً بين ألفاظه ومعانيه وأغراضه،حلو الرنة في الأذن،موسيقياً في الوقع،رفيقاً ليناً في مواقف التي لا تستدعي الشدة، شديداً وعنيفاً في غيرها من المواقف ولاسيما في خطاب النافقين والمراوغين وطلّاب لدنيا على حساب الفقراء والمستضعفين وأصحاب الحقوق المهدورة لذا فأسلوبه كقلبه وذهنه،صادق وطويته،ولا عجب أن يكون نهجاً للبلاغة.

وقد تنوعتْ أغراض الدعاء في نهج البلاغة إلى : الاستسقاء، عرض الأوضاع

وتحليل الأحداث، الشكوى،وأغراض فكرية، التعبير عن مكنونات النفس وما يختلج في الأعماق من نوايا،ورفع معنويات المقاتلين، رسم صورة الصراع بينه وبين أعدائه، حقن الدماء وصلاح ذات البين وطلب الهداية فضلاً عن أهداف تربوية مهمة يؤديها الدعاء في تربية النفوس البشرية وسوقها نحو مدارج السمو والرفعة والكمال ناهيك عما يشتمل عليه من فضائل أخلاقية ومعارف ربانية تسبغ بها النفس وتمنحها الهدوء والسكينة.

وبالرغم من الوضوح والمباشرة والتقريرية التي تتضمنها طبيعة الحاجات المدعو بها إذ الداعي يتقدم بحاجاته بلغة واضحة لا غموض ولا تعقيد ولا تعميق فلا تتطلب عنصراً صور إلا إننا وجدنا اشتمال بعض أدعية الإمام على صور كنائية واستعارية ومجازية لتكوين أسرار فنية كامنة وراء هذه الصور.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

- أبواب الرحمة- دراسة في آفاق الدعاء ودوره في تربية الفرد والمجتمع الصالح، نبيل شعبان،ط٣، أنوار الزهراء، ١٣٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- الأثر القرآني في نهج البلاغة - دراسة في الشكل والمضمون،د.عباس علي حسين الفحام، العتبة العلوية المقدسة،مكتبة الروضة الحيدرية،النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- الاحتجاج،الشيخ الطبرسي،تح/ السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف،١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.

- أدب الدعاء في نهج البلاغة - دراسة دلالية، د.هناء عبد الرضا رحيم، ود. مرتضى عباس فالح، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول - نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان،جامعة الكوفة، الجزء الرابع، ط١٤٣٢،١هـ- ٢٠١١م.

- أدب الشريعة الإسلامية - دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوماً، د. محمود البستاني،ط١،مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية،١٤٢٤هـ .ق / ١٣٨٢هـ .ش .

- أدعية الإمام علي (عليه السلام)- الصحيفة العلوية المباركة،الشيخ عبد الله بن صالح السماهيجي،ط١،دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- الإسلام والفن، د. محمود البستاني،ط١،مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- الاستبصار، الشيخ الطوسي،تح/ السيد حسن الموسوي الخرسان،دار الكتب الإسلامية - طهران،(د.ت).

- أصول التفسير والتأويل - مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسرين، السيد كمال الحيدري،ط٢،منشورات : دار فراقد،المط : ستارة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- أعلام الهداية - الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام)-،لجنة التأليف، ط٣، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت - عليهم السلام - مطبعة ليلى، (د.ت).

- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح/ حسن الأمين،الناشر : دار التعارف للمطبوعات،بيروت، لبنان، (د.ت).

- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب،الشيخ علي اليزدي الحائري،تح/ السيد علي عاشور، (د.ت).

- الأمالي،الشيخ الصدوق،تح/ قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة،١٤١٧هـ .

- الأمالي،الشيخ المفيد،تح/ حسين الأستاذ ولي، وعلي أكبر الغفاري،ط٢، -دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، طبع بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

- الإمام علي بن أبي طالب روح الإسلام الخالد،د. حسن عيسى الحكيم، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي،قم،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

- الإمام علي بن أبي طالب مفسّراً للقرآن، د. أحمد راسم النفيس،ط١،دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

- الإمام علي بن أبي طالب هو الإمام حقاً، مهدي الشيخ صالح الأسدي،ط١،دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- الإمام علي،دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج،شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم،ط١، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم،مط : العترة الطاهرة، شتاء١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م.

- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق،تح/ حسن حميد السنيد، ط٢،مط :ليلى،مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٦هـ.ق.
- الإمام علي (عليه السلام) عبقري هذه الأمة، علي عبد المحسن عجّاج،ط١، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الإمام علي (عليه السلام) القرآن الناطق، طالب خان، ط١،دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الإمام علي (عليه السلام) القرآن الناطق،نعمة هادي الساعدي، ط١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان،١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- الإمام علي من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني،طُبع على نفقة الحاج عبد الشهيد محمد الشيخ علي النجار،(د.ت).
- أمير المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي،محمد سعيد الطريحي،ط١، مط: سرور،إيران،قم،٢٠٠٦م- ١٣٢٧هـ.
- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تح/ محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، والسيد إبراهيم الميانجي،ومحمد الباقر البهبودي،ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .
- بحوث في منهج تفسير القرآن الكريم،محمود رجبي،ترجمة : حسين صافي، ط٢،بيروت،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،٢٠١٠م.
- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار،تح / الحاج ميرزا حسن كوچه باغي مطبعة الأحمدي، طهران،منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش.
- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي،د.محمود البستاني،ط١،دار الفقه للطباعة والنشر،مطبعة سليمان زادة،١٤٢٤هـ - ق -١٣٨٢هـ - ش.
- البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي،ط ٤، الناشر : دار الزهراء للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.

- تاريخ الأدب الإسلامي،د. عباس الترجمان،ط١،دار التبليغ الإسلامي،بيروت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني،ط١،مجمع البحوث الإسلامية،مؤسسة الطبع والنشر للاستانة الرضوية المقدسة،مشهد، إيران،١٤١٣هـ .

- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي - شيخ الطائفة -، تح / أحمد حبيب قصير العاملي المجلد الثاني دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى النشر : ١٤٠٩ هـ . ق.هـ.

- تحف العقول، ابن شعبة الحراني،تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ش .

- ترتيب إصلاح المنطق،ابن السكيت،تح / الشيخ محمد حسن بكائي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة،١٤١٢هـ .

- التشريع الإسلامي - مناهجه ومقاصده،آية الله السيد محمد تقي المدرسي، ط١،انتشارات مدرسي،(د.ت).

- تفسير الإمام العسكري (عليه السلام)المنسوب إلى الإمام العسكري، (عليه السلام)،تح / مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)،ط١، الناشر : مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف -مهر - قم المقدسة، ربيع الأول ١٤٠٩هـ.

- تفسير الثعلبي، الثعلبي،تحق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي،ط١، بيروت - لبنان - دار إحياء التراث العربي،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- التفسير الصافي،الفيض الكاشاني،ط٢، مؤسسة الهادي، قم المقدسة،مكتبة الصدر،طهران،رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ش.

- تفسير العياشي،محمد بن مسعود العياشي،تح/ الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي،المكتبة

العلمية الإسلامية - طهران، (د.ت).

- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله القرطبي، تحقيق : تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني، د.ط، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، د.ت .

- تفسير القمي،علي بن إبراهيم القمي، تح / السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، منشورات مكتبة الهدى،مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران، صفر ١٤٠٤هـ .

- تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي،تح/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،رمضان المبارك ١٤١٠هـ.

- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران،(د.ت).

- تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تحق/ السيد هاشم الرسولي المحلاتي،ط٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم،١٤١٢هـ- ١٣٧٠ش .

- التفسير والمفسرون،د.محمد حسين الذهبي،ط٢،دار الكتب الحديثة،١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب،الأستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة، ط ١،الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية،مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة،١٣٧٧هـ .ش - ١٤١٩هـ .ق.

- التمهيد في علوم القرآن، العلّامة محمد هادي معرفة، ط١،منشورات ذوي القربى،مؤسسة التمهيد، قم المقدسة، الجمهورية الإسلامية الإيرانية،١٣٨٦هـ ش،١٤٢٨هـ ق،٢٠٠٧م.

- التوحيد، الشيخ الصدوق، تح/ السيد هاشم الحسيني الطهراني،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة،(د.ت).

- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، المطبعة العلمية - قم، منشورات مدينة

العلم – آية الله العظمى الخوئي – قم – إيران،١٤٠٧هـ .

– الحدائق الناضرة، المحقق البحراني،تح / محمد تقي الإيرواني،منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، (د.ت).

– حقيقة مصحف الإمام علي عند الشيعة والسنة / عبد الله علي أحمد الدقاق،ط١،دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤٣٠-٢٠٠٩.

– حلية الأبرار،السيد هاشم البحراني، تح / الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم – إيران، مط : بهمن، ١٤١١هـ .

– الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د،ت).

– الدعاء عند أهل البيت،الشيخ محمد مهدي الآصفي،ط٤،منشورات جامعة المصطفى العالمية،١٤٢٩ق/ ١٣٨٧ش .

– دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة،شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره)،ط٥،مؤسسة تراث الشهيد الحكيم،مطبعة العترة الطاهرة،النجف الأشرف، صيف ٢٠٠٧م.

– الرسالة التامة في فروق اللغة العامة، الشيخ محمد جعفر الكرباسي،ط١، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،٢٠٠٩م.

– الرسالة السعدية،العلامة الحلي، تح/ السيد محمود المرعشي، إخراج وتعليق: عبد الحسين محمد علي بقال، ط١، بهمن – قم،١٤١٠هـ.

– السرائر، ابن إدريس الحلي، تح/ لجنة التحقيق، ط٢،مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة،١٤١٠هـ.

– شرح إحقاق الحق،السيد المرعشي،تحقيق : تعليق : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي،منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران، (د.ت).

– شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام)، شرح : حسن السيد علي

القبانچي،ط٢، المط : إسماعيليان - قم،مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر،١٤٠٦هـ .

- شرح نهج البلاغة،ابن أبي الحديد،تح/ محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦١م.

- الشيعة وفنون الإسلام،السيد حسن الصدر،

- الصحاح، الجوهري،تح/ أحمد عبد الغفور العطار،ط٤، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان،١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.

- الصحيفة السجادية الكاملة،الإمام السجاد علي بن الحسين (عليهما السلام)،دار الكتب العلمية،بغداد،٢٠٠٠م.

- علم الإمام - بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمة المعصومين،تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدري، بقلم الشيخ علي حمود العبادي، ط١، منشورات : دار فراقد، المط : ستارة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- علوم القرآن، الشهيد السيد محمد باقر الحكيم،ط٥، مجمع الفكر الإسلامي، مط : شريعت - قم، ١٤٢٤هـ. ق.

- علي ميزان الحق، السيد محمد حسين فضل الله،إعداد وتنسيق : صادق اليعقوبي،ط١،دار الملاك، مطبعة الصدر،١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م.

- عمدة الطالب، ابن عنبة، تح/ محمد حسن آل الطالقاني، ط٢، الناشر : منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٨٠- ١٩٦١ م.

- علوم نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي،ط١،دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- العين، الخليل الفراهيدي،تح / د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط٢، مط : الصدر، مؤسسة دار الهجرة،١٤١٠هـ.

- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق،تح/ الشيخ حسين الأعلمي،مطابع

مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان،١٤٠٤ - ١٩٨٤ م.

- عيون الحكم والمواعظ،علي بن محمد الليثي الواسطي،تح / الشيخ حسين الحسيني البيرجندي،ط١،المط : دار الحديث، (د.ت).

- الغدير، الشيخ الأميني،دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، عني بنشره الحاج حسن إيراني صاحب دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، (د.ت).

- فتح القدير، الشوكاني، عالم الكتب، (د.ت).

- الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري،تح / مؤسسة النشر الإسلامي،ط١،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، شوال المكرم ١٤١٢هـ .

- فلسفة الابتلاء،الشيخ حافظ حداد،ط٢،مركز أمير المؤمنين (عليه السلام)،١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

- فلسفة المناجاة والتضرع والدعاء، محمد حسين المختاري المازنداني،ط١، الناشر مهدي بار،مطبعة محمد،قم،جمادي الثاني ١٤٢٣هـ .

- الفلسفة والاعتزال في نهج البلاغة، قاسم حبيب جابر، ط١، المؤسسة العالمية للدراسات،بيروت،لبنان،١٩٧٨م.

- في رحاب أهل البيت، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد : سليم الحسيني، ط٤، دار التوحيد للطباعة والنشر، بغداد،العراق،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- في رحاب الدعاء، السيد محمد حسين فضل الله،ط٣،دار الملاك،مطبعة الصدر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- في رحاب نهج البلاغة،الأستاذ مرتضى مطهري،ط١،الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- في ظلال نهج البلاغة،الشيخ محمد جواد مغنية،ط١،انتشارات كلمة الحق،١٤٢٧هـ.ق.

- القرآن في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، هاشم الموسوي،ط١، مركز الغدير

للدراسات الإسلامية،مط :محمد،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- الكافي، الشيخ الكليني،تح/ علي أكبر الغفاري،ط٥،المط : حيدري، دار الكتب الإسلامية - طهران،١٣٦٣ ش.

- كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي،ط٢، دار الأضواء - بيروت، لبنان،١٤٠٥- ١٩٨٥م.

- كنز العمال،المتقي الهندي،تح/ الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان،١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.

- الكنز اللغوي،ابن السكيت،المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت، (د.ت).

- لسان العرب، ابن منظور، نشر أدب الحوزة، قم، إيران،محرم،١٤٠٥هـ.

- مجمع البحرين،الشيخ الطريحي،تح/ السيد أحمد الحسيني،ط٢، الناشر : مكتب النشر الثقافة الإسلامي،١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش.

- المخصص، ابن سيده، تح/ لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت)

- مدارس التفسير الإسلامي،علي أكبر بابائي، تعريب: كمال السيد،ط١،مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت،٢٠١٠م.

- المدخل إلى علوم نهج البلاغة، د. محسن باقر الموسوي،ط١،دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- المدرسة القرآنية، آية الله العظمى الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قدس سره)، لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد محمد باقر الصدر،مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر،مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع،١٤٢١ق.

- المزار، محمد بن المشهدي،تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني،ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، نشر القيوم - قم - إيران، رمضان المبارك ١٤١٩هـ .

- المستدرك،الحاكم النيسابوري، تح/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي،(د.ت).

- المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، تحقيق : الشيخ أحمد

المحمودي،ط١،الناشر:مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، مط: سلمان الفارسي- قم، ١٤١٥هـ.ق.

- مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة)، الميرجهاني،نسخة مخطوطة،١٣٨٨.

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (عليه السلام)، محمد بن طلحة الشافعي،تحقيق : ماجد ابن أحمد العطية، (د.ت).

- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق،تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا،تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي،١٤٠٤هـ.

- المعجم الوسيط،(إبراهيم مصطفى،وأحمد حسن الزيات،وحامد عبد القادر،ومحمد علي النجار)، ط٢،مكتبة المرتضوي،مط:باقري،١٤٢٧هـ.ق -١٣٨٥هـ.ش.

- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني،تح/ صفوان عدنان داوودي،ط٤،دار القلم- دمشق،الدار الشامية- بيروت،١٤٢٥هـ.

- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تح / لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المط : الحيدرية - النجف الأشرف،١٣٧٦ - ١٩٥٦ م.

- مناقب أهل البيت (عليه السلام)، المولى حيدر الشيرواني، تح / الشيخ محمد الحسون، مطبعة منشورات الإسلامية، شوال المكرم ١٤١٤هـ.

- مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي،ط١، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت - لبنان، ١٤١١ - ١٩٩١ م.

- معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، ط٥، : مركز نشر الثقافة الإسلامية، ١٤١٣ - ١٩٩٢م.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تح/ عبد السلام محمد هارون،

الناشر : مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ .

- مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، محمد بن سليمان الكوفي،تح/ الشيخ محمد باقر المحمودي،ط١، المط : النهضة، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم المقدسة،محرم الحرام ١٤١٢هـ .

- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، تح/ علي أكبر الغفاري، ط٢، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ت).

- منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه، صباح علي البياتي،ط١،المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)،مطبعة ليلى،١٤٢٧هـ .

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري،ط٢، انتشارات دار التفسير،١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

- موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، باقر شريف القرشي،ط١،مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية،دار الحسنين للطباعة والنشر،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق : دار الحديث،ط١، المط : دار الحديث، ١٤١٦هـ.

- نفحات الولاية - شرح نهج البلاغة، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،ط١،دار جواد الأئمة،بيروت،لبنان،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- نهج البلاغة،الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)،ط٤،مطبعة ثامن الأئمة (عليه السلام)،مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر والتوزيع،قم ١٣٨٤ هـ ش-١٤٢٦ هـ -ق٢٠٠٦م.

- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، المط : مهر – قم، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة، ١٤١٤هـ.

- وعي القرآن، في رحاب القرآن (١)، محمد مهدي الآصفي،رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية،مديرية الترجمة والنشر،الجمهورية الإسلامية في إيران، طهران،١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- ينابيع المودة لذوي القربى،القندوزي،تح / سيد علي جمال أشرف الحسيني،ط١، مط : أسوة، دار الأسوة للطباعة والنشر،١٤١٦هـ..

ثانياً : البحوث والمقالات المنشورة:

- أثر الدعاء في النفس،مقال،كريم شلال، جريدة صوت المعلم، ع٣٢،س٢٠١١،٨م.

- أدب الدعاء في نهج البلاغة - دراسة دلالية،بحث، د.هناء عبد الرضا رحيم،ود. مرتضى عباس فالح، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول الموسوم (نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان)، جامعة الكوفة،كلية التربية الأساسية، الجزء الرابع،ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- الأثر الفكري في تمييز رجال الحديث من خلال نهج البلاغة،بحث،حسن كاظم أسد، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول الموسوم (نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان)، جامعة الكوفة،كلية التربية الأساسية الجزء الرابع،ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

- الدلالات التفسيرية في شواهد نهج البلاغة القرآنية، بحث،د.علي جواد الحجار، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول الموسوم (نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان)، جامعة الكوفة،كلية التربية الأساسية،الجزء الخامس،،ط١،النجف الأشرف،٢٠١١م.

- الصحيفة السجادية،مقال د.حسين علي محفوظ،مجلة البلاغ، الكاظمية، السنة الأولى، ع٦.

- قصائد غير منشورة ، على الأنترنت، موقع الطرف،مجلة الفكر الجديد،ع ٩، شهر صفر ١٤١٥هـ،

- مصاحف الإمام علي - عليه السلام -،بحث، أ.د. عبد الله السوداني،مجلة المصباح ع ٢،صيف ٢٠١٠-١٤٣١هـ.

المحتويات

الاهداء ٥
مقدمة المؤسسة ٧
المقدمـة ٩

الفصل الأول

تفسير الإمام علي (عليه السلام) المغيّب للقرآن الكريم

المدخل : شخصية أمير المؤمنين الفكرية ١٣
القرآن في رؤية أمير المؤمنين (عليه السلام) ٢٠
التفسير والتأويل ٢٦
احتجاجاته القرآنية ٣٤
التفسير المغيّب ٣٧
تفسير الإمام علي (عليه السلام) وأهميته : ٣٩
أهمية تفسير الإمام علي (عليه السلام) : ٤٧
منهجه في التفسير : ٥١
نماذج مختارة من تفسير ه المغيّب ٥٨
التفسير في نهج البلاغة ٩٣
علي (عليه السلام) والقرآن ١٠١

الفصل الثاني

الدعاء عند أمير المؤمنين (عليه السلام) - أدعية نهج البلاغة أنموذجاً

المدخل : الدعاء ونهج البلاغة ١١٣
عناصر الدعاء في نهج البلاغة ١٢٣
بلاغة الدعاء في نهج البلاغة ١٢٥
أغراض الدعاء في نهج البلاغة ١٢٧
صور بلاغية في أدعية نهج البلاغة ١٤١
الاقتباس القرآني في أدعية أمير المؤمنين (عليه السلام) ١٤٢
الخاتمة ١٤٧
المصادر والمراجع : ١٥٥